وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

الترجمة العربية لكتاب
Muslim – Christian Dialogue

تاليف: د. حسن م. باعقيل
تعريب: د. نبيل عبد السلام هارون

الكتـــــــاب: وجادلهم بالتي هي أحسن

المؤلـــــــف: د. حسن م. باعقيل

التعـــــريب: د. نبيل عبد السلام هارون

رقـــم الطبعة: الأولى

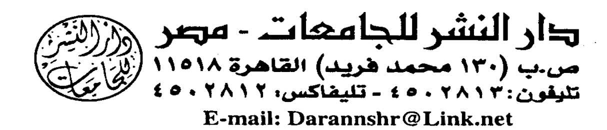
تاريخ الإصدار: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

النــاشــــــر: دار النشر للجامعات

رقـــم الإيداع : ٢٠٠٥/٩٥٩٠

الترقيـم الدولي: I.S.B.N: 977-316-159-5

الكـــــــود: ٣/٣٤٧



وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

الترجمة العربية لكتاب

Muslim – Christian Dialogue

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الموضوع	الصفحة

تقديم المؤلف للكتاب

هذا الكتاب خلاصة حوارات متتالية دارت بيني وبين عدد من علماء ورجال الدين المسيحي ، واتسمت المناقشات بالموضوعية والود والأدب الجم ، والحرص المفرط علي تجنب المساس بالمشاعر الدينية ، مع الالتزام بالمنهج العلمي في الحوار.

أهدي الكتاب لكل باحث عن الحق المبين ، وللمهتمين بدراسات مقارنة الأديان.

د. حسن باعقيل - يناير ١٩٨٤

تقديم الترجمة العربية

هذه ترجمة شاملة للنص الإنجليزي اسْتُخْرِجَت فيها نصوصُ العهد القديم والعهد الجديد من النص العربي المعتمد للجمعية الدولية للكتاب المقدس:

IBS (International Bible Society).

وروعيت فيها اختلافات النص العربي المعتمد عن النص الإنجليزي، كما روعيت فيها طبيعة اللغة والثقافة العربية ، وكذلك اعتبارات الملاءمة للقارئ العربي. والله ولي التوفيق.

د. نبيل عبد السلام هارون



١ - هل كان إبراهيم يهوديا أو نصرانيا؟

عبد المسيح : أخي عبد الله، في صبانا لم نكن نسمع كثيرا عن مثل هذه الحوارات العديدة التي تدور هذه الأيام بين رجال الدين المسيحي والإسلامي !

عبد الله : لعل ذلك لما بين الدينين من أواصر فنحن نؤمن بالله الواحد الذي أرسل الأنبياء جميعا ومنهم المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته، الذي كذبه اليهود وآمنا به. يقول الله في كتابه العزيز:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران: ٤٥] .

ولقد دارت فعلا حوارات متتالية إسلامية مسيحية في أوروبا وكندا والولايات المتحدة وأستراليا، بل إن الفاتيكان قد شارك في مؤتمرات مع علماء المسلمين من مصر؛ كان أولها في روما (١٩٧٠)، ثم في القاهرة (١٩٧٤ ، ١٩٧٨) ، كما تم لقاء مماثل مع علماء السعودية في روما (١٩٧٨) ، ناهيك عن مؤتمرات كولومبو المتتالية، والعديد من اللقاءات في كنائس تستضيف علماء المسلمين للتعريف بالإسلام.

عبد المسيح : الذي يدهشني هو أنه رغم أن عمر المسيحية الآن يمتد إلى ألفي عام ؛ كما يرجع ظهور الإسلام إلى أكثر من أربعة عشر قرنا، لم يسجل التاريخ مثل هذه اللقاءات والحوارات، إلا في العقود الأخيرة؟

عبد الله : لا تنس أن العلاقة بين الدين المسيحي ممثلا في الدول الأوروبية (بريطانيا وفرنسا وكذلك هولندا وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال) وبين العالم الإسلامي، ومعظمه من الدول الآسيوية والأفريقية، كانت طوال الأربعة قرون الماضية علاقة استعمار وهيمنة لا علاقة حوار وتفاهم.

وقد سعى المستعمرون جاهدين عن طريق إرسالياتهم المسيحية إلى تنصير الشعوب الواقعة تحت الاحتلال بكل وسائل الإغراء والابتزاز، والتي توجه أساسا إلى الفقراء والمعدمين، كتقديم العلاج المجاني والغذاء والملبس وفرص العمل. وعبثا فشلت هذه

الأموال في تحويل مسلم عن دينه.

ومن ناحية أخرى لم يبدأ التواصل الفكري بين الإسلام والغرب المسيحي إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، حين رحل وهاجر العديد من العمال والمثقفين من دول آسيا وأفريقيا إلى الغرب بحثا عن العمل أو للدراسة، وأتاح ذلك فرصا أوفر للتعريف بالإسلام وتبادل الأفكار.

عبد المسيح : هل ترى ثمة دوافع أخرى لهذا الاهتمام المعاصر بالحوار وخاصة من جانب رجال الدين المسيحي والإسلامي ؟

عبد الله : أحسب أن الجهود قد أثمرت في ترسيخ قدر أكبر من التسامح والتفاهم رغم التنافس الشديد في مجال الدعوة والسعي لكسب الأنصار، فتراجع الكثير من الكُتَّاب في الغرب عما اعتادوه من أكاذيب وإساءات للإسلام ورسوله. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بدأ الكثير من المنصفين في الغرب يدركون أننا أقرب إلى المسيحيين منا إلى اليهود والملحدين، كما جاء في القرآن الكريم :

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة: ٨٢] .

كما أن بعض الطوائف المسيحية قد سلمت أخيرا بالحق عندما اعترفت لأول مرة في التاريخ بصدق انتساب رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى قيدار ابن إسماعيل عليه السلام. ويُعَرِّف معجم الإنجيل لدافيس (الذي يصدره مجلس التعليم المسيحي بالكنيسة المشيخية الأمريكية طبعة ١٩٨٠) "قيدار" بأنه: " .... اسم لقبيلة تنتسب إلى إسماعيل ... (تكوين ٢٥/ ١٣)... ومن هذه القبيلة ظهر محمد ... ". كما استقر هذا التعريف أيضا فيما جاء بدائرة معارف الإنجيل القياسية الدولية ؛ وكذلك بمعجم الإنجيل لسميث الذي يسجل عبارة سفرالتكوين:

(وَهَذِهِ أَسْمَاءُ أَبْنَاءِ إسماعيل مَدَوَّنَةً حَسَبَ تَرْتِيبِ وِلاَدَتِهِمْ: نَبَايُوتُ بِكْرُ إسماعيل، وَقِيدَارُ وَأَدَبْئِيلُ وَمِبْسَامُ، وَمِشْمَاعُ وَدُومَةُ وَمَسَّا) [تكوين ٢٥/ ١٣].

ويقرر أن نسب محمد إلى إبراهيم، إنما يمتد خلال قبيلة قريش المنبثقة من قيدار ابن إسماعيل.

وإنصافا للحق فإني أعتقد أن أفضل ما جناه الغرب من أفواج المهاجرين المسلمين لم يكن ما ساهموا به من سواعدهم وعقولهم في بناء حضارة الغرب وثروته بقدر ما كان "الإسلام" الذي بدأ يمد جذوره هناك ؛ متمثلا في مساجد ومراكز إسلامية تشع بنورها وتجذب الكثير إلي "العودة" إلى الإسلام، وأقول "العودة" لا التحول إلى الإسلام، لأن كل مولود يولد على فطرة توحيد الله وعبادته، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه.

وانتشار الإسلام في الغرب في عالمنا المعاصر - حيث زمام القوة والمنعة بأيدي الغرب- يثبت أن الإسلام لا ولم ينتشر بالسيف، ولا يحتاج إلى إرساليات ترصد لها الأموال وتساندها قوى السياسة والنفوذ، وكل ذلك تؤيده الإحصاءات.

عبد المسيح : إن كانت الأديان السماوية الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام كلها من عند الله الخالق الواحد ففيم إذن الاختلاف بينها وفيم الخلاف بين أصحابها ؟

عبد الله : الأصل في ذلك أن كل الأنبياء، بدءا من آدم إلى محمد (عليهم الصلاة والسلام)، قد أرسلهم الله بنفس الرسالة : "الإسلام"، والإسلام هو الانقياد والطاعة لله الواحد وما أنزله على رسله، و "الإسلام" هو الاسم الذي اختاره الله تعالى لهداية مخلوقاته، وذكره بهذا اللفظ في القرآن الكريم :

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

بينما لم يجئ لفظ "اليهودية" ولا "المسيحية" في أي من العهد القديم أو العهد الجديد، ولا وجود لأي منهما كمصطلح في معجم ألفاظ الإنجيل، فما جاءت كلمة "اليهودية" على لسان أي من أنبياء بني إسرائيل، كما أن المسيح عليه السلام لم ينسب إليه أنه جاء ليقيم دعائم "المسيحية" على وجه الأرض ولم يصف نفسه بأنه "مسيحي"، وإنما أطلق لفظ "مسيحي" لأول مرة قرابة عام ٤٣م، أي بعد رحيل المسيح بسنوات عديدة، وذلك على لسان اليهود والوثنيين، واقرأ في أعمال الرسل :

(وَلَمَّا وَجَدَهُ جَاءَ بِهِ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ، فَكَانَا يَجْتَمِعَانِ مَعَ الْكَنِيسَةِ هُنَاكَ سَنَةً كَامِلَةً، وَيُعَلِّمَانِ جَمْعاً كَبِيراً. وَفِي أَنْطَاكِيَةَ أُطْلِقَ عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ أَوَّلَ مَرَّةٍ اسْمُ الْمَسِيحِيِّينَ) [أعمال ١١/ ٢٦].

وتكرر ذكر اللفظ بعد ذلك علي لسان الملك أغريباس الثاني إلى بولس في أعمال الرسل:

(فَأَجَابَ أَغْرِيبَاسُ: «قَلِيلاً بَعْدُ، وَتُقْنِعُنِي بِأَنْ أَصِيرَ مَسِيحِيّاً!») [أعمال ٢٦/ ٢٨].

وفي المناسبتين كان إطلاق اللفظ على لسان أعداء المسيح، ثم ذكر اللفظ أخيرا على لسان بطرس في رسالته التي يواسي بها أتباع المسيح فيما يلقونه من عناء:

(وَلَكِنْ إِنْ تَأَلَّمَ أَحَدُكُمْ لأَنَّهُ «مَسِيحِيٌّ»، فَعَلَيْهِ أَلاَّ يَخْجَلَ، بَلْ أَنْ يُمَجِّدَ اللهَ لأَجْلِ هَذَا الإِسْمِ!) [بطرس الأولى ٤/ ١٦].

ومن هنا فإن "أول المسلمين" على وجه الأرض إنما هو آدم، ثم توالى ركب الأنبياء : نوح ومَنْ بعده إلى إبراهيم أبي الأنبياء ...

عبد المسيح : مهلا ، كيف كان إبراهيم مسلما، من المعروف أنه يهودي !

عبد الله : يهودي؟ من قال ذلك؟

عبد المسيح : لقد تعلمنا ذلك، ولا ريب أن الإنجيل يؤكد ذلك أيضا .

عبد الله : أين جاء ذلك في الإنجيل؟ حتى أوفر عليك الوقت دعني أساعدك. اقرأ ما جاء في (تكوين ١١/ ٣١).

عبد المسيح : (وَأَخَذَ تَارَحُ ابْنَهُ أَبْرَامَ وَحَفِيدَهُ لُوطاً بْنَ هَارَانَ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ زَوْجَةَ ابْنِهِ أَبْرَامَ، وَارْتَحَلَ بِهِمْ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ) [تكوين ١١/ ٣١].

عبد الله : إذن فإن إبراهيم الذي ولد في بلدة أور الكلدانية لم يكن أبدا يهوديا لسببين :

أولا: لأن بلدة أور الكلدانية تقع في منطقة "ما بين النهرين" (دجلة والفرات)؛ التي هي الآن من أراضي العراق، وثانيا: لأن كلمة "يهودي" مشتقة من اسم "يهوذا"، الذي كان من أحفاد سيدنا إبراهيم عليه السلام، ثم اقرأ ما جاء في (تكوين ١٢ / ٤- ٥).

عبد المسيح : (فَارْتَحَلَ أَبْرَامُ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ، وَرَافَقَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ فِي الْخَامِسَةِ

وَالسَّبْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا غَادَرَ حَارَانَ. وَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ زَوْجَتَهُ وَلُوطاً ابْنَ أَخِيهِ وَكُلَّ مَا جَمَعَاهُ مِنْ مُقْتَنَيَاتٍ وَكُلَّ مَا امْتَلَكَاهُ مِنْ نُفُوسٍ فِي حَارَانَ، وَانْطَلَقُوا جَمِيعاً إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ إِلَى أَنْ وَصَلُوهَا) [تكوين ١٢ / ٤ – ٥].

عبد الله : فإبراهيم عندما هاجر واغترب إلى أرض كنعان إنما كان في الخامسة والسبعين من عمره، كما يؤكد الإنجيل في (تكوين ١٧ / ٨) :

(وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً) [تكوين ١٧/ ٨].

ثم اقرأ الآن ما جاء في (تكوين ١٤/ ١٣).

عبد المسيح : (وَجَاءَ أَحَدُ النَّاجِينَ إِلَى أَبْرَامَ الْعِبْرَانِيِّ الَّذِي كَانَ مَازَالَ مُقِيماً عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا أَخِي أَشْكُولَ وَعَانِرَ حُلَفَاءِ أَبْرَامَ وَأَبْلَغَهُ بِمَا جَرَى) [تكوين ١٤/ ١٣].

عبد الله : كيف إذن يقال أن إبراهيم يهودي بينما يؤكد الإنجيل أنه "عبراني"، وهي كلمة تشير إلى أولئك الذين "عبروا" نهر الفرات من الشرق إلى الغرب، واقرأ أيضا (تكوين ٣٢/ ٢٨)، لترى كيف تغير اسم "يعقوب" إلى "إسرائيل."

عبد المسيح : (فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ إِسْرَائِيلَ (وَمَعْنَاهُ: يُجَاهِدُ مَعَ اللهِ)، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ») [تكوين ٣٢/ ٢٨].

عبد الله : فإبراهيم إذن كان "عبرانيا"، أما ذرية يعقوب، أي إسرائيل؛ فهم "إسرائيليون" من أبنائه الإثناعشر تفرع منهم قبائل بني إسرائيل الإثناعشر؛ ومنهم قبيلة "يهوذا": أول من أطلق عليه لقب "يهودي"، الذي اقتصر بادئ الأمر على ذريته دون غيرهم من بني إسرائيل.

والآن إذا أردت أن تعرف أيضا هل كان موسى عليه السلام يهوديا أم لا فاقرأ (خروج ٦/ ١٦-٢٠).

عبد المسيح : (وَهَذِهِ أَسْمَاءُ أَبْنَاءِ لاَوِي حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ: جِرْشُونُ وَقَهَاتُ وَمَرَارِي. وَقَدْ عَاشَ لاَوِي مِئَةً وَسَبْعاً وَثَلاَثِينَ سَنَةً. أَمَّا ابْنَا جِرْشُونَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمَا فَهُمَا: لِبْنِي

وَشِمْعِي. وَأَبْنَاءُ قَهَاتَ هُمْ: عَمْرَامُ وَيِصْهَارُ وَحَبْرُونُ وَعُزِّيئِيلُ. وَقَدْ عَاشَ قَهَاتُ مِئَةً وَثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ سَنَةً. وَابْنَا مَرَارِي هُمَا مَحْلِي وَمُوشِي. هَذِهِ هِيَ عَشَائِرُ اللاَّوِيِّينَ بِحَسَبِ سِجِلِّ مَوَالِيدِهِمْ. وَتَزَوَّجَ عَمْرَامُ عَمَّتَهُ يُوكَابَدَ فَأَنْجَبَتْ لَهُ هَرُونَ وَمُوسَى. وَقَدْ عَاشَ عَمْرَامُ مِئَةً وَسَبْعاً وَثَلاَثِينَ سَنَةً) [خروج ٦/ ١٦ -٢٠].

عبد الله : فموسى إذن بدوره لم يكن يهوديا إذ لم يكن من أحفاد يهوذا؛ بل كان "لاويًّا" من أحفاد "لاوي" ابن يعقوب، وموسى (اللاويّ) عليه السلام هو الذي أرسله الله بشريعة التوراة إلى بني إسرائيل.

عبد المسيح : وكيف عرفت كل هذه التفاصيل ؟

عبد الله : من القرآن الكريم، فالقرآن عندنا هو الفيصل وهو الحَكَم الذي توزن به كافة النصوص والعقائد، وهو الذي يصحح ما أصابها بفعل البشر وأهواء البشر. والقرآن هو خاتم الكتب المنزلة من الله تعالى، وهو الكتاب الذي سَلِمَ من كل تغيير وتحريف، وقد تكفل الله بحفظه في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ وفي سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝﴾. وفي هذه الآية الأخيرة تحد معجز للبشرية جمعاء، وبرهان ساطع على صدق رسالة الإسلام، فلقد مضى أربعة عشر قرنا من الزمان وما تغيرت في القرآن كلمة وما تبدل فيه حرف، رغم سعي الكافرين وكيدهم لتحريفه وإخفاء معالمه، لقد صدق الله في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝﴾؛ فقد حفظه كما وعد إلى يوم الدين.

وعلى النقيض من ذلك تعرضت كل الكتب السماوية السابقة: توراة موسى، ومزامير داود، وإنجيل عيسى: إلى الإخفاء، والحذف والإضافة، والتعديل والتبديل، وإدخال الأسفار تلو الأسفار من أقوال البشر إليها.

عبد المسيح : ماذا إذن يقول القرآن في أمر إبراهيم وموسى وصلتهما باليهودية؟

عبد الله : جاء في سورة آل عمران :

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ

بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [آل عمران: ٦٥)، وكذلك:

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

كما جاء في سورة البقرة:

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: ١٤٠].

عبد المسيح: ولكن لفظ "الله" لفظ عربي غريب على إبراهيم وموسى وسائر الأنبياء قبلهم.

عبد الله: لا يا صديقي، لقد عرفه كل الأنبياء ابتداء من آدم إلى محمد (عليهم الصلاة والسلام)، كلهم عرفوا الله باسمه. وهو في العربية مشتق من: "الإله" بحذف الهمزة "إ"، ليصبح اسما علما على الإله الواحد الذي ليس كمثله شيء، وهو الذي ينطق بالعبرية: "إلُوها"، وإن كان اليهود يستعملون أيضا صيغة الجمع: "إلُوهيم" التي تنافي التوحيد. كما أنه بالأرامية: "ألاها" كما نطق بها عيسى عليه السلام.

ومن هنا تعلم أن لفظ الجلالة، وإن كان غريبا على آذان غير المسلمين من غير العرب، هو نفس الاسم الذي دعا لعبادته كافة الأنبياء وهم يدعون الناس لنفس العقيدة: الإسلام.

ألا ترى أن هذا الاسم الأعظم "الله" هو الاسم اللائق بالتوحيد: التوحيد الذي لا شائبة فيه، فهو اسم لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع ولا يُؤَنَّث، بينما تنحرف الأهواء بأسماء أخرى له تعالى، فيقال: ربة وأرباب وإلهة وآلهة، فاسم "الله" هو اسم التوحيد، للخالق الأحد الذي أرسل لعبادته وطاعته كل الأنبياء.

ليس هذا فحسب بل إن الكثير من شعائر وآداب الإسلام، التي تبدو غريبة على غير المسلمين، قد تضمنتها تعاليم كل الأنبياء، فالوضوء للصلاة كان معروفا في بداية اليهودية كما جاء في العهد القديم:

(لِيَغْسِلَ مُوسَى وَهَرُونُ وَبَنُوهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ بِمَائِهِ. فَيَغْتَسِلُونَ كُلَّمَا دَخَلُوا إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ أَوِ اقْتَرَبُوا إِلَى الْمَذْبَحِ، كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى) [الخروج ٤٠/ ٣١- ٣٢].

وجاء في العهد الجديد :

(وَهَكَذَا كَانَ. فَفِي الْيَوْمِ التَّالِي أَخَذَ بُولُسُ الرِّجَالَ الأَرْبَعَةَ؛ وَبَعْدَمَا تَطَهَّرَ مَعَهُمْ، دَخَلَ الْهَيْكَلَ لِكَيْ يُسَجِّلَ التَّارِيخَ الَّذِي يَنْتَهِي فِيهِ أُسْبُوعُ التَّطَهُّرِ، حَتَّى تُقَدَّمَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ التَّقْدِمَةُ الْوَاجِبَةُ) [أعمال الرسل ٢١/ ٢٦].

فأنت ترى في النص الأخير حرص بولس علي التطهر (رغم ما أحدثه في تعاليم المسيح من تغيير، كما سيتبين فيما بعد).

كما قد تعلم أن من شروط صلاة المرأة المسلمة أن تغطي رأسها، فقارن ذلك بما جاء في (كورنثوس ١١/ ٥، ٦، ١٣) :

(وَكُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ، وَلَيْسَ عَلَى رَأْسِهَا غِطَاءٌ، تَجْلِبُ الْعَارَ عَلَى رَأْسِهَا، لأَنَّ كَشْفَ الْغِطَاءِ كَحَلْقِ الشَّعْرِ تَمَاماً. فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ لاَ تُغَطِّي رَأْسَهَا، فَلْيُقَصَّ شَعْرُهَا! وَلَكِنْ، مَادَامَ مِنَ الْعَارِ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ يُقَصَّ شَعْرُهَا أَوْ يُحْلَقَ، فَلْتُغَطِّ رَأْسَهَا ... فَاحْكُمُوا إِذَنْ بِأَنْفُسِكُمْ: أَمِنَ اللاَّئِقِ أَنْ تُصَلِّيَ الْمَرْأَةُ إِلَى اللهِ وَهِيَ مَكْشُوفَةُ الرَّأْسِ؟) [كورنثوس الأولى ١١/ ٥، ٦، ١٣] .

كذلك نحن نخلع نعالنا حين نصلي، وصلاتنا قيام وركوع وسجود ، تماما كما فعل كل الأنبياء قبل الإسلام، فاقرأ مثلا :

(هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا) [مزمور ٩٥/ ٦]، و : (فَأَكَبَّ يَشُوعُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ سَاجِداً) [يوشع ٥/ ١٤]، و : (وَأَمَّا إِيلِيَّا فَارْتَقَى إِلَى قِمَّةِ جَبَلِ الْكَرْمَلِ وَجَلَسَ عَلَى الأَرْضِ وَخَبَّأَ رَأْسَهُ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ) [الملوك الأول ١٨/ ٤٢]، و : (فَافْتَرَقَ مُوسَى وَهَرُونُ عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَقَدِمَا إِلَى مَدْخَلِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ حَيْثُ انْطَرَحَا عَلَى وَجْهَيْهِمَا، فَتَرَاءَى لَهُمَا مَجْدُ الرَّبِّ) [العدد ٢٠/ ٦]، ثم : (فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ، فَخَاطَبَهُ اللهُ قَائِلاً) [التكوين ١٧/ ٣]، و :(قَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى هُنَا: اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ») [الخروج ٣/ ٥]، و : (فقال له الرب: اخلع نعليك لأن المكان الذي تقف عليه هو أرض مقدسة!) [الأعمال ٧/ ٣٣].

وليس هذا فحسب بل قد ينعقد لسانك من الدهشة إذا تبين لك أن الحج في الإسلام بما فيه من طواف ببيت الله الحرام كان من شعائر الأنبياء، بما فيهم أنبياء بني إسرائيل.

عبد المسيح : كيف كان ذلك؟ وأنا لم أجد أبدا أي إشارة إلى الحج أو الكعبة في الكتاب المقدس !

عبد الله : جاء ذلك في مواضع كثيرة ربما لم تلفت انتباهك. اقرأ مثلا :

١- (ثُمَّ بَكَّرَ يَعْقُوبُ فِي الصَّبَاحِ، وَأَخَذَ الْحَجَرَ الَّذِي تَوَسَّدَهُ وَنَصَبَهُ عَمُوداً وَصَبَّ عَلَيْهِ زَيْتاً، وَدَعَا الْمَكَانَ «بَيْتَ إِيلَ» (وَمَعْنَاهُ: بَيْتُ الله)) [تكوين ٢٨/ ١٨ -١٩].

٢- (ثُمَّ قَالَ اللهُ لِيَعْقُوبَ: «اصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ وَاسْكُنْ هُنَاكَ، وَشَيِّدْ مَذْبَحاً لله الَّذِي ظَهَرَ لَكَ عِنْدَمَا كُنْتَ هَارِباً مِنْ أَمَامِ أَخِيكَ عِيسُو». فَأَمَرَ يَعْقُوبُ أَهْلَ بَيْتِهِ، وَكُلَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ: «تَخَلَّصُوا مِنَ الآلِهَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي بَيْنَكُمْ، وَتَطَهَّرُوا وَأَبْدِلُوا ثِيَابَكُمْ، ثُمَّ تَعَالَوْا لِنَذْهَبَ إِلَى بَيْتِ إِيلَ لأُشَيِّدَ هُنَاكَ مَذْبَحاً لله الَّذِي اسْتَجَابَ لِي فِي يَوْمِ ضِيقَتِي، وَرَافَقَنِي فِي الطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكْتُهَا». فَسَلَّمُوا يَعْقُوبَ كُلَّ الآلِهَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي كَانَتْ لَدَيْهِمْ وَالأَقْرَاطَ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ، فَطَمَرَهَا يَعْقُوبُ تَحْتَ الْبُطْمَةِ الَّتِي فِي شَكِيمَ) [تكوين ٣٥/ ١-٤].

وتلحظ هنا أن ما فعله يعقوب عليه السلام من إزالة كل المعبودات المنكرة هو نفس ما قام به محمد صلى الله عليه وسلم حين دخل البيت الحرام فاتحا فحطم الأصنام وأخرج الصور من جوف الكعبة.

٣- وذِكْرٌ آخر للبيت الحرام وبنائه جاء في سفر التكوين: (فَأَخَذَ يَعْقُوبُ حَجَراً وَنَصَبَهُ عَمُوداً، وَقَالَ لأَقْرِبَائِهِ: «اجْمَعُوا حِجَارَةً». فَأَخَذُوا الْحِجَارَةَ وَجَعَلُوهَا رُجْمَةً وَأَكَلُوا هُنَاكَ فَوْقَهَا. وَدَعَاهَا لاَبَانُ «يَجَرْ سَهْدُوثَا» (وَمَعْنَاهَا: رُجْمَةُ الشَّهَادَةِ بِلُغَةِ لاَبَانَ) وَأَمَّا يَعْقُوبُ فَدَعَاهَا «جَلْعِيدَ» (وَمَعْنَاهَا: رُجْمَةُ الشَّهَادَةِ بِلُغَةِ يَعْقُوبَ). وَقَالَ لاَبَانُ: «هَذِهِ الرُّجْمَةُ شَاهِدَةٌ الْيَوْمَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ». لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا جَلْعِيدَ. وَكَذَلِكَ دُعِيَتْ بِالْمِصْفَاةِ أَيْضاً لأَنَّهُ قَالَ: «لِيَكُنِ الرَّبُّ رَقِيباً بَيْنِي وَبَيْنَكَ حِينَ يَغِيبُ كُلٌّ مِنَّا عَنِ الآخَرِ) [تكوين ٣١/ ٤٥-٤٩].

٤- (فَحَلَّ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى يَفْتَاحَ، فَاجْتَازَ أَرَاضِي جِلْعَادَ وَمَنَسَّى وَمِصْفَاةَ جِلْعَادَ، وَمِنْهَا

تَقَدَّمَ نَحْوَ بَنِي عَمُّونَ. وَنَذَرَ يَفْتَاحُ نَذْراً لِلرَّبِّ وَقَالَ: «إِنْ نَصَرْتَنِي عَلَى بَنِي عَمُّونَ فَإِنَّنِي عِنْدَ رُجُوعِي سَالِماً مِنْ مُحَارَبَةِ بَنِي عَمُّونَ أُصْعِدُ لِلرَّبِّ مُحْرَقَةً: أَوَّلَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ أَبْوَابِ بَيْتِي لِلِقَائِي». ثُمَّ تَقَدَّمَ يَفْتَاحُ لِمُحَارَبَةِ بَنِي عَمُّونَ، فَأَظْفَرَهُ الرَّبُّ بِهِمْ، وَهَزَمَهُمْ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً مِنْ عَرُوعِيرَ حَتَّى مِنِّيتَ عَلَى امْتِدَادِ عِشْرِينَ مَدِينَةً إِلَى آبَلِ الْكُرُومِ. وَهَكَذَا أَخْضَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْعَمُّونِيِّينَ. ثُمَّ رَجَعَ يَفْتَاحُ إِلَى بَيْتِهِ فِي الْمِصْفَاةِ) [القضاة ١١/ ٢٩-٣٩].

٥- (وَتَأَلَّبَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جَمِيعُهُمْ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ قَادِمِينَ مِنْ دَانَ فِي الشِّمَالِ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ فِي الْجَنُوبِ، وَمِنْ أَرْضِ جِلْعَادَ أَيْضاً، وَمَثَلُوا أَمَامَ الرَّبِّ فِي الْمِصْفَاة) [القضاة ٢٠/ ١] .

٦- (وَأَقْسَمَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ فِي الْمِصْفَاةِ أَلاَّ يُزَوِّجَ أَحَدٌ مِنْهُمُ ابْنَتَهُ لأَيِّ رَجُلٍ مِنْ سِبْطِ بَنْيَامِينَ. فَاجتَمَعُوا فِي بَيْتِ إِيلَ وَمَثَلُوا أَمَامَ الرَّبِّ بَاكِينَ بِمَرَارَةٍ حَتَّى الْمَسَاءِ) [القضاة ٢١/ ١-٢].

٧- (فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «ادْعُوا كُلَّ إِسْرَائِيلَ لِلاجْتِمَاعِ فِي الْمِصْفَاةِ فَأُصَلِّيَ لأَجْلِكُمْ إِلَى الرَّبِّ) [صموئيل الأول ٧/ ٥].

٨- (تَابُورَ، فَيَلْتَقِيَكَ هُنَاكَ ثَلاَثَةُ رِجَالٍ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ لِيُقَدِّمُوا قُرْبَاناً لله) [صموئيل الأول ١٠/ ٣].

ولعله يتضح لك الآن أن ليس ثمة مكان على وجه الأرض يصح أن يكون هو المقصود باسم : "بيت إيل" أو "المصفاة"، سوى مكة المكرمة التي أقامها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وفيها نشأ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، الذي نؤمن بكل ما جاء به ونتبعه، كما نؤمن بكل الأنبياء والمرسلين من قبله.

ولعلي قد أطلت عليك بعض الشيء في أمر سيدنا إبراهيم وصلة الأنبياء كلهم ببعض وبالرسالة الواحدة: الإسلام، وربما يهمك أن تعرف المزيد عن الإسلام والمسلمين، وعن بشارة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما جاءت في كتابكم المقدس، وغير ذلك من الأمور، هذا إن كنت حقا تواقا للبحث والمعرفة والتماس الحق أينما كان؟

عبد المسيح : إني حقا مشوق لأن أسمع منك رغم إيماني الراسخ بعقيدتي لأني طالما جذب انتباهي كتابات لمفكرين مسلمين أثارت في ذهني العديد من التساؤلات.

عبد الله : وهل دعاك ذلك إلى مراجعة بعض المفاهيم والأفكار المسبقة ؟

عبد المسيح : إلى حد ما، وقد أصبحت مشوقا لمعرفة المزيد عن الإسلام، وأحرص على الاطلاع على كل ما يقع في يدي من كتب، ثم طرح تساؤلاتي على أصدقائي من المسلمين دون أن يشفي ذلك غليلي بعد. وكل مرادي الآن أن أجد الإجابة التي يقنع بها عقلي وتهدأ نفسي، إجابة أساسها المنطق السليم والحقائق الواضحة لا التعصب والتقليد.

عبد الله : أصبت يا صديقي، وإني لأقدر صدق موقفك، ولكنا كمسلمين لا ينبغي لنا أن ندفع أحدا إلى تغيير أفكاره، وإنما نعرض ما نعرف من الحق على من يريد أن يصغي إلينا فحسب.

عبد المسيح : ولكني حر في نهاية الأمر في الوصول إلى ما يقنعني من أفكار؟

عبد الله : طبعا يا صديقي لأنه: "لا إكراه في الدين".

عبد المسيح : لماذا إذن ينشط المسلمون في دعوة غيرهم إلى الإسلام؟

عبد الله : هذا أمر طبيعي، فكما دعا المسيحيون اليهود إلى الاعتراف بأن عيسى هو المسيح المذكور في كتبهم فإننا ندعو المسيحيين واليهود والبشرية جمعاء للإيمان بمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد أمرنا صلى الله عليه وسلم بمهمة إبلاغ دعوته لكل الناس فقال: "بلغوا عني ولو آية" (أي : آية واحدة من القرآن).

مما يذكرنا بعبارة (سفر أشعياء ٢١/ ١٣) : "نبوءة من بلاد العرب"، التي تعني: القرآن الكريم الذي أصبح أمانة في عنق كل مسلم عربي أو غير عربي؛ أن ينشره ويدعو إليه.

وقد جاء ذكر الوحي كذلك في سفر أشعياء بعدما رأى رؤيا "راكبي الحمير وراكبي الجمال" :

(وَعِنْدَمَا يُشَاهِدُ رَاكِبِينَ فُرْسَاناً أَزْوَاجاً أَزْوَاجاً، أَوْ رَاكِبِينَ عَلَى حَمِيرٍ، وَرَاكِبِينَ عَلَى جِمَالٍ، فَلْيُصْغِ إِصْغَاءً شَدِيداً) [أشعياء ٢٧/ ٧].

وربما كانت الأولى إشارة إلى دخول المسيح إلى القدس، واقرأ:

(وَوَجَدَ يَسُوعُ جَحْشاً فَرَكِبَ عَلَيْهِ، كَمَا قَدْ كُتِبَ) [يوحنا ١٢/ ١٤]، وكذلك: (بَشِّرُوا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ: هَا هُوَ مَلِكُكِ قَادِمٌ إِلَيْكِ وَدِيعاً يَرْكَبُ عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ !») [متى ٢١/ ٥].

فإلامَ إذن كانت الإشارة إلى الجمال؟ ، إن أول ما يتبادر إلى الذهن هو مجيء النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد المسيح بأكثر من ستمائة سنة، وإذا لم نأخذ بهذه الإشارة الواضحة فإننا نكون قد نقضنا نبوءة أشعياء.

عبد المسيح : إن تفسيرك هذا لنبوءة أشعياء يحفزني إلى مراجعة الكتاب المقدس وقراءته بعناية بالغة، ثم أواصل الحوار معك.

عبد الله : وإني لأرحب بذلك، فأمور العقيدة هي أهم ما يشغل الإنسان لأنها ترتبط بالمصير الذي ما بعده مصير، وكل ما نحققه وننعم في هذه الحياة إنما هو إلى زوال، والدار الآخرة هي دار الخلود، والناس في هذه الأيام قد ألهتهم المادة وزخرف الحياة، فتعال يا صديقي لنعاود البحث والنقاش فيما نتفق فيه أو نختلف، فنحن نعرف الله بعقولنا، ونؤمن بالإسلام بالدليل والبرهان، بل إن في كتابكم أيضا دعوة إلى إعمال العقل :

(امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ) [تسالونيكي الأولى ٥/ ٢١].

عبد المسيح : لقد ذكرت منذ قليل عبارة "راكبي الجمال" في سفر أشعياء، واستنتجت أنها إشارة إلى محمد، فهل جاء ذكر لمحمد بعينه في الكتاب المقدس ؟

عبد الله : نعم ، كما سترى.

عبد المسيح : في العهد القديم أم العهد الجديد؟

عبد الله : في كليهما معا، ولعله من الأوفق أن نبدأ حوارنا بقضية التوحيد؛ وما يتعلق بها من أطروحات كالتثليث والطبيعة الإلهية للمسيح وبنوته لله والخطيئة الأولى والفداء؛ وكلها أطروحات لم يأت بها المسيح بل حذر منها :

(إِنَّمَا بَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ لَيْسَتْ إِلاَّ وَصَايَا النَّاسِ) [متى ١٥/ ٩].

٢ - كلام الله أم كلام بشر ؟

عبد الله : أترى حقا أن كل كلمة في الكتاب المقدس من أوله إلى آخره، سواء في أسفار العهد القديم أو أسفار العهد الجديد، هي من عند الله ؟

عبد المسيح : قطعا، إني أوقن أنه كله كلام الله.

عبد الله : إذا كان الأمر كذلك فاقرأ معي ما يقوله لوقا بهذا الصدد في إنجيله (لوقا ١/ ٢-٣).

عبد المسيح : (لمَّا كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَقْدَمُوا عَلَى تَدْوِينِ قِصَّةٍ فِي الأَحْدَاثِ الَّتِي تَمَّتْ بَيْنَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا أُولئِكَ الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْبَدَايَةِ شُهُودَ عِيَانٍ، ثُمَّ صَارُوا خُدَّاماً لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً، بَعْدَمَا تَفَحَّصْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ تَفَحُّصاً دَقِيقاً، أَنْ أَكْتُبَهَا إِلَيْكَ مُرَتَّبَةً يَا صَاحِبَ السُّمُوِّ ثَاوُفِيلُسَ لِتَتَأَكَّدَ لَكَ صِحَّةُ الْكَلاَمِ الَّذِي تَلَقَّيْتَهُ) [لوقا ١ / ٢- ٣].

عبد الله : إذا كان لوقا نفسه يقر بأنه لم يعاين بنفسه ما يسرده في إنجيله، بل استقاه ممن سبقوه وعايشوا الأحداث بأنفسهم، وهم جميعا بشر، فكيف يكون إنجيله من عند الله؟

عبد المسيح : ربما كان هذا الجزء وحده من كلام البشر.

عبد الله : ولكن التاريخ يثبت أن الكتاب المقدس قد أجريت عليه العديد والعديد من التصحيحات والتعديلات عبر القرون، وأقربها ما جرى للطبعات الإنجليزية الحديثة كالنسخة المعتمدة المراجعة لسنة ١٩٥٢ ثم ١٩٧١، وكذلك النسخة الأمريكية الجديدة المعتمدة، والترجمة العالمية المعتمدة. فكلها قد حذفت منها العديد من العبارات التي كانت لقرون طويلة جزءا من الكتاب المقدس في الطبعة القديمة (طبعة الملك جيمس). كما أن مؤسسة ريدرز دايجست قامت بمراجعة مستقلة حذفت فيها قرابة نصف العهد القديم وقرابة ربع العهد الجديد. وأعود لأتساءل هل يجوز أن يكون ثمة خطأ في كتاب من عند الله؟

عبد المسيح : بالطبع لا، ولكن أي نوع من الأخطاء تقصد؟

عبد الله : هب أن آية في الكتاب تروي أن شخصا ما قد مات في سن الخمسين ثم تأتي آية أخرى لتؤكد أن نفس الشخص قد مات في سن الستين، أتكون الآيتان حقا من عند الله ؟

عبد المسيح : يقينا لا ، فأحد الروايتين أو كلاهما خاطئة ولا يجوز ذلك على الله.

عبد الله : كذلك إذا كان ثمة تناقض بين عبارتين في نفس الكتاب هل يجوز أن يكون ذلك الكتاب من عند الله ؟

عبد المسيح : بالطبع لا أيضا ، فالكلام الموحى به من الله لا يجوز أن يقع به أي خطأ أو تناقض.

عبد الله : وإلا كان من عند غير الله؟

عبد المسيح : تماما.

عبد الله : ولا نستطيع أن نصدق كل ما جاء به دون تمحيص ؟ ودعني أسألك إن كان ثمة أخطاء فمن أين جاءت ؟

عبد المسيح : ربما كانت خطأ في التدوين، أو تغييرا مقصودا من الكتبة بالحذف أو الإضافة !

عبد الله : سأثبت لك الآن أن ثمة تناقضات صريحة في الكتاب المقدس، لعلك تعيد النظر في كونه كلام الله أم لا.

عبد المسيح : مازلت أعتقد أن الكتاب المقدس كلام الله، ويستحيل أن يكون به أي تناقض.

عبد الله : مهلا ، تحقق أولا من هذه الأمثلة التي سأذكرها لك لتناقضات صريحة وردت به.

عبد المسيح : أين؟ في العهد القديم أم في العهد الجديد؟

عبد الله : في كليهما معا، وإليك بعضا منها :

١- ألف وسبعمائة أم سبعة آلاف فارس:

* (وَأَسَرَ مِنْ جَيْشِهِ أَلْفاً وَسَبْعَ مِئَةِ فَارِسٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ، وَعَرْقَبَ دَاوُدُ كُلَّ خُيُولِ الْمَرْكَبَاتِ بِاسْتِثْنَاءِ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ) [صموئيل الثاني ٨/ ٤].

* (وَاسْتَوْلَى دَاوُدُ عَلَى أَلْفِ مَرْكَبَةٍ مِنْ مَرْكَبَاتِهِ، وَأَسَرَ سَبْعَةَ آلافِ فَارِسٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ، وَعَرْقَبَ دَاوُدُ كُلَّ خَيْلِ الْمَرْكَبَاتِ) [الأيام الأول ١٨/ ٤].

٢- تُوعِي أَمْ تُوعو؟ يُورام أَمْ هَدُورام؟

* (وَلَمَّا عَلِمَ تُوعِي مَلِكُ حَمَاةَ أَنَّ دَاوُدَ قَدْ قَضَى عَلَى جَيْشِ هَدَدَ عَزَرَ، بَعَثَ ابْنَهُ يُورَامَ إِلَى الْمَلِكِ دَاوُدَ يَسْتَفْسِرُ عَنْ سَلاَمَتِهِ، وَيُهَنِّئُهُ عَلَى انْتِصَارِهِ عَلَى هَدَدَ عَزَرَ، لأَنَّ هَدَدَ عَزَرَ كَانَ يَشُنُّ حُرُوباً عَلَى تُوعِي، وَحَمَّلَهُ هَدَايَا مِنْ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ وَنُحَاسٍ) [صموئيل الثاني ٨/ ٩ -١٠].

* (وَعِنْدَمَا عَلِمَ تُوعُو مَلِكُ حَمَاةَ أَنَّ دَاوُدَ قَدْ دَحَرَ جَيْشَ هَدَدَ عَزَرَ مَلِكِ صُوبَةَ، أَرْسَلَ هَدُورَامَ ابْنَهُ إِلَى الْمَلِكِ دَاوُدَ مُحَمَّلاً بِهَدَايَا مِنْ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ وَنُحَاسٍ، لِيُهَنِّئَهُ وَيُبَارِكَهُ، لأَنَّهُ هَزَمَ هَدَدَ عَزَرَ، إِذْ إِنَّ هَدَدَ عَزَرَ كَانَ دَائِماً يَشُنُّ عَلَيْهِ حُرُوباً). (١أيام ١٨/ ٩-١٠).

٣- ٧٠٠ مركبة أم ٧٠٠٠ ؟ ، و ٤٠.٠٠٠ : فارس أم من المشاة؟

* (وَمَا لَبِثَ الأَرَامِيُّونَ أَنِ انْدَحَرُوا أَمَامَ الإِسْرَائِيلِيِّينَ، فَقَتَلَتْ قُوَّاتُ دَاوُدَ رِجَالَ سَبْعِ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ، وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ. وَأُصِيبَ شُوبَكُ رَئِيسُ الْجَيْشِ وَمَاتَ هُنَاكَ. وَقَتَلَ دَاوُدُ سَبْعَةَ آلافٍ مِنْ قَادَةِ الْمَرْكَبَاتِ، وَأَرْبَعِينَ أَلْفاً مِنَ الْمُشَاةِ، كَمَا قَتَلَ شُوبَكَ رَئِيسَ الْجَيْشِ) [صموئيل الثاني ١٠/ ١٨] .

* (وقتل داود سبعة آلاف من قادة المركبات، وأربعين ألفا من المشاة، كما قَتَلَ شُوبَكَ رئيس الجيش) [الأيام الأول ١٩/ ١٨].

٤- يُوشَيْب أَمْ يَشُبْعام ؟ ثمانمائة أم ثلاثمائة ؟

* (وَهَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالِ دَاوُدَ الأَبْطَالِ: يُوشَيْبُ بَشَّبَثُ التَّحْكَمُونِيُّ، وَكَانَ قَائِدَ الثَّلاَثَةِ، هَاجَمَ بِرُمْحِهِ ثَمَانِي مِئَةٍ وَقَتَلَهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً) [صموئيل الثاني ٢٣/ ٨].

* (وَهَؤُلاَءِ هُمْ أَبْطَالُ دَاوُدَ: يَشُبْعَامُ بْنُ حَكْمُونِي، رَئِيسُ الأَبْطَالِ الثَّلاَثَةِ، هَاجَمَ بِرُمْحِهِ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَقَتَلَهُمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً [الأيام الأول ١١/ ١١].

٥- الرب أم الشيطان ؟

* (ثُمَّ عَادَ فَاحْتَدَمَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَثَارَ دَاوُدَ عَلَيْهِمْ قَائِلاً: «هَيَّا قُمْ بِإِحْصَاءِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا») [صموئيل الثاني ٢٤/ ١].

* (وَتَآمَرَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ، فَأَغْرَى دَاوُدَ بِإِحْصَاءِ الشَّعْبِ) [الأيام الأول ٢١/ ١].

٦- هل أنجبت ميكال أم لا ؟

* (وَلَمْ تُنْجِبْ مِيكَالُ بِنْتُ شَاوُلَ وَلَداً إِلَى يَوْمِ مَوْتِهَا) [صموئيل الثاني ٦/ ٢٣].

* (فَأَخَذَ الْمَلِكُ أَرْمُونِيَ وَمَفِيبُوشَثَ ابْنَيْ رِصْفَةَ ابْنَةِ أَيَّةَ اللَّذَيْنِ وَلَدَتْهُمَا لِشَاوُلَ، وَأَبْنَاءَ مِيكَالَ ابْنَةِ شَاوُلَ الْخَمْسَةَ الَّذِينَ أَنْجَبَتْهُمْ لِعَدْرِيئِيلَ ابْنِ بَرْزِلاَيَ الْمَحُولِيِّ [صموئيل الثاني ٢١/ ٨].

عبد المسيح : كيف اكتشفت كل ذلك ؟ لم ألحظ أبدا مثل هذه الاختلافات. هل ثمة المزيد ؟

عبد الله : ألا تكفي هذه الأمثلة لإعادة النظر في نسبة هذا الكلام إلى الله تعالى ؟ حسنا، اقرأ أيضا ما جاء في سفر التكوين :

(فَقَالَ الرَّبُّ: «لَنْ يَمْكُثَ رُوحِي مُجَاهِداً فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ. هُوَ بَشَرِيٌّ زَائِغٌ، لِذَلِكَ لَنْ تَطُولَ أَيَّامُهُ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَقَطْ») [تكوين ٦/ ٣].

ولكن يا صديقي كم عاش نوح ؟ لقد عاش نوح أكثر من مائة وعشرين عاما، واقرأ الآن (تكوين ٩/ ٢٩).

عبد المسيح : (ثُمَّ مَاتَ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً) [تكوين ٩/ ٢٩].

عبد الله : يعتقد المسيحيون أن الله خلق آدم على صورته، طبقا لما جاء في سفر التكوين (١/ ٢٦) :

(ثُمَّ قَالَ اللهُ : «لِنَصْنَعِ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا، كَمِثَالِنَا، فَيَتَسَلَّطَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ، وَعَلَى

طَيْرِ السَّمَاءِ، وَعَلَى الأَرْضِ، وَعَلَى كُلِّ زَاحِفٍ يَزْحَفُ عَلَيْهَا». فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ) [تكوين ١/ ٢٦-٢٧].

ولكن ذلك يتناقض مع ما جاء في سفر إشعياء :

(بِمَنْ تُشَبِّهُونَ اللهَ وَبِمَنْ تُقَارِنُونَهُ؟ ...فَبِمَنْ إِذاً تُقَارِنُونَنِي فَأَكُونَ نَظِيرَهُ؟ يَقُولُ الْقُدُّوسُ) [إشعياء ٤٠/ ١٨، ٢٥].

وكذلك ما جاء في المزامير :

(إنه من في السماء يعادل الرب.من يشبه الرب بين أبناء الله) [مزمور ٨٩/ ٦].

ومثله ما في إرمياء (١٠/ ٦-٧) :

(أَنْتَ لاَ نَظِيرَ لَكَ يَارَبُّ. عَظِيمٌ أَنْتَ، وَاسْمُكَ عَظِيمٌ فِي الْجَبَرُوتِ. مَنْ لاَ يَتَّقِيكَ يَامَلِكَ الأُمَمِ؟ فَالْخَوْفُ مِنْكَ يَلِيقُ بِكَ، إِذْ لاَ يُوْجَدُ بَيْنَ حُكَمَاءِ الشُّعُوبِ وَفِي جَمِيعِ مَمَالِكِهِمْ مَنْ هُوَ نَظِيرُكَ) [إرمياء ١٠/ ٦-٧].

عبد المسيح : ولكن كل ما ذكرته من العهد القديم فحسب ؟

عبد الله : حسنا إليك أمثلة من العهد الجديد، قارن مثلا عبارة :

(وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ نَفْسُهُ أَيْضاً يَشْهَدُ لِي. وَأَنْتُمْ لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُمْ هَيْئَتَه) [يوحنا ٥/ ٣٧] ، مع عبارة : (فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «مَضَتْ هَذِهِ الْمُدَّةُ الطَّوِيلَةُ وَأَنَا مَعَكُمْ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَافِيلِبُّسُ؟ الَّذِي رَآنِي رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ: أَرِنَا الآبَ) [يوحنا ١٤/ ٩] !!!

ثم قارن : (لَوْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي، لَكَانَتْ شَهَادَتِي غَيْرَ صَادِقَةٍ) [يوحنا ٥/ ٣١]، مع : (فَأَجَابَ: «مَعَ أَنِّي أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَإِنَّ شَهَادَتِي صَحِيحَةٌ، لأَنِّي أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؛ أَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تَعْرِفُونَ لاَ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَلاَ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ) [يوحنا ٨/ ١٤].

وأكتفي مؤقتا بهذين المثالين المتناقضين في العهد الجديد، حتى نتعرض للمزيد منها عندما نناقش المفاهيم التي طرأت على المسيحية بمضي الزمن، مثل التثليث وتأليه المسيح وبنوته لله والخطيئة الأولى والفداء، إلى جانب ما ورد في النصوص من تعريض بالأنبياء

وتشويه صورتهم ونسبة أمور إليهم لا تصح ولا تليق بهم: كعبادة آلهة غير الله، والاغتصاب وزنا المحارم والسِّفاح.

عبد المسيح : أين قرأت ذلك؟

عبد الله : ألم يَرْوِ سفر التكوين (٩/ ٢٣-٢٤) أن نوحا شرب الخمر حتى ثمل وتجرد عاريا من ملابسه أمام أبنائه ؟ :

(فَشَاهَدَ حَامٌ أَبُو الْكَنْعَانِيِّينَ عُرْيَ أَبِيهِ، فَخَرَجَ وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ اللَّذَيْنِ كَانَا خَارِجاً. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ رِدَاءً وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا الْقَهْقَرَى إِلَى دَاخِلِ الْخَيْمَةِ، وَسَتَرَا عُرْيَ أَبِيهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَدِيرَا بِوَجْهَيْهِمَا نَحْوَهُ فَيُبْصِرَا عُرْيَهُ. وَعِنْدَمَا أَفَاقَ نُوحٌ مِنْ سُكْرِهِ وَعَلِمَ مَا فَعَلَهُ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ...)[تكوين ٩/ ٢٣-٢٤].

أما سليمان فقد نسب إليه عبادة غير الله :

(فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ ضَلَّ عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُ تَجَلَّى لَهُ مَرَّتَيْنِ، وَنَهَاهُ عَنِ الْغَوَايَةِ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَلَمْ يُطِعْ وَصِيَّتَهُ) [ملوك أول : ١١/ ٩-١٠].

وكذلك اتهم النبي هارون، الذي جعله الله مؤازرا لأخيه موسى في دعوة فرعون وقومه، بأنه هو الذي صنع العجل الذهبي ليعبده بنو إسرائيل :

(فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ وَصَهَرَهَا وَصَاغَ عِجْلاً. عِنْدَئِذٍ قَالُوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَاإِسْرَائِيلُ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ». وَعِنْدَمَا شَاهَدَ هَرُونُ ذَلِكَ شَيَّدَ مَذْبَحاً أَمَامَ الْعِجْلِ وَأَعْلَنَ: «غَداً هُوَ عِيدٌ لِلرَّبِّ») [خروج ٣٢/ ٤-٥].

ثم اقرأ رمي النبي لوط بارتكابه زنا المحارم مع ابنتيه :

(وَهَكَذَا حَمَلَتْ الابْنَتَانِ كِلْتَاهُمَا مِنْ أَبِيهِمَا) [تكوين ١٩/ ٣٦].

واتهام النبي يعقوب بالجمع بين شقيقتين تزوجهما سويا، أما النبي داود فقد اتهم بالزنا :

(فَبَعَثَ دَاوُدُ يَسْتَدْعِيهَا. فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ وَضَاجَعَهَا إِذْ كَانَتْ قَدْ تَطَهَّرَتْ مِنْ طَمْثِهَا، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. حَمَلَتِ الْمَرْأَةُ فَأَرْسَلَتْ تُبَلِّغُ دَاوُدَ بِذَلِكَ) [صموئيل الثاني ١١/ ٤-٥].

ويلح على سؤال : كيف يبقى داود عليه السلام ، بعد كل ما نسب إليه ، على رأس سلسلة نسب المسيح عليه السلام في إنجيلي متى ولوقا ؟ حاشا لله، ألم يؤكد سفر التثنية على أن :

(لاَ يَدْخُلِ ابْنُ زِنًى وَلاَ أَحَدٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ) [تثنية ٢٣/ ٢].

وإذا مضينا في أمثلة تشويه صورة النبوة لوجدنا روايات عن : زنا المحارم بالإكراه كما جاء في (صموئيل الثاني ١٣/ ١٤) :

(وَمَا إِنْ قَدَّمَتْهُ لَهُ حَتَّى أَمْسَكَهَا وَقَالَ لَهَا: «تَعَالَيِ اضْطَجِعِي مَعِي يَاأُخْتِي... فَأَبَى أَنْ يَسْتَمِعَ لِتَوَسُّلاَتِهَا، بَلْ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا وَاغْتَصَبَهَا) [صموئيل الثاني ١٣/ ١٤].

وعن اغتصاب بالجملة جهارا : (فَنَصَبُوا لأَبْشَالُومَ الْخَيْمَةَ عَلَى السَّطْحِ، وَدَخَلَ لِمُضَاجَعَةِ مَحْظِيَّاتِ أَبِيهِ عَلَى مَرْأَى جَمِيعِ الإِسْرَائِيلِيِّينَ) [صموئيل الثاني ١٦/ ٢٢].

ولعمري لا أتصور أن إنسانا يجرؤ على ارتكاب مثل هذا العمل الأخير حتى بين أكثر الشعوب انحلالا.

ومثال أخير لزنا المحارم تقرأه في سفر التكوين :

(فَسَأَلَهَا: «أَيُّ رَهْنٍ أُعْطِيكِ؟» فَأَجَابَتْهُ: «خَاتَمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ». فَأَعْطَاهَا مَا طَلَبَتْ، وَعَاشَرَهَا فَحَمَلَتْ مِنْهُ) [تكوين ٣٨/ ١٨].

تعليقي الأخير على هذه الروايات، التي لا تليق بمقام الأنبياء، هو أن أي مسلم مهما بلغ - ورغم ما بيننا وبين بني إسرائيل من عداء تاريخي - لا يتجاسر أن يكتب شيئا من هذا القبيل يمس أيا من أنبياء بني إسرائيل أو غيرهم (صلى الله عليهم وسلم) أو يتهمهم بأي من هذه التهم الشنيعة، فالله تعالى إنما بعث الأنبياء لهداية البشر، فهل يهتدي البشر بمن هم أحوج (طبقا لما ادُّعِيَ عليهم) للهداية والرشاد.

عبد المسيح : لا أظن ذلك بداهة، ولكن ألم تذكر لي قبل ذلك أنك تؤمن بكل الأنبياء والمرسلين وما جاءوا به من عند الله ؟

عبد الله : نعم لا أنكر ذلك، إننا نؤمن بكل الكتب السماوية، ولكن: بنصها الأصلي الذي نزلت به، والذي اندثر أو تغير، ونعرف من هذه الكتب : صحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور (مزامير) داود، وإنجيل المسيح، ثم شاء الله أن يختم الرسالات بالقرآن الكريم الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ليكون هداية لكل الأمم في كل زمان ومكان، بينما بُعِثَ كل رسول قبله إلى أمة بعينها في عصر معين.

وقد أكد المسيح نفسه أنه إنما أرسل إلى بني إسرائيل خاصة، كما جاء في إنجيل متى : (لكِنَّهُ لَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَجَاءَ تَلاَمِيذُهُ يُلِحُّونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «اقْضِ لَهَا حَاجَتَهَا. فَهِيَ تَصْرُخُ فِي إِثْرِنَا!» فَأَجَابَ: «مَا أُرْسِلْتُ إِلاَّ إِلَى الْخِرَافِ الضَّالَّةِ، إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ!) [متى ١٥/ ٢٤].

وكما تؤيده أيضا العبارة الآتية من إنجيل متى :

(فَسَتَلِدُ ابْناً وأَنْتَ تُسَمِّيه يَسُوع، لأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ) [متى١/ ٢١].

بل إن المسيح قد أكد أيضا أنه لم يجئ لينقض ما سبقه من رسالات بل ليكمل:

(لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْغِيَ الشَّرِيعَةَ أَوِ الأنبياء. مَا جِئْتُ لأُلْغِيَ، بَلْ لأُكَمِّلَ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، لَنْ يَزُولَ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ، حَتَّى يَتِمَّ كُلُّ شَيْءٍ) [متى ٥/ ١٧-١٨].

عبد المسيح : ولكن يسوع قد قال طبقا لمرقس (١٦/ ١٥):

(وَقَالَ لَهُمْ:«اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ، وَبَشِّرُوا الْخَلِيقَةَ كُلَّهَا بِالإِنْجِيلِ»)[مرقس ١٦/ ١٥].

عبد الله : وذلك يتناقض مع ما أشرنا إليه تَوًّا من نصوص إنجيل متى: (١٥/ ٢٤) و(٢١/ ١)، كما أذكرك أيضا أن كل ما جاء في الإصحاح السادس عشر من إنجيل مرقس ابتداء من الآية رقم ٩ إلى ٢٠ قد تم حذفه من الطبعات الحديثة، ففي الطبعة الأمريكية القياسية الجديدة وُضِع هذا الجزء بين اقواس مع تعليق: «إن بعضا من أقدم المخطوطات خالية من هذه الآيات»، كما أن الترجمة العالمية الجديدة للكتاب المقدس التي تعتمدها جماعة شهود يهوه تقر بأن بعض المخطوطات العتيقة تضم تعليقا أو خاتمة بعد الآية ١٦/ ٨ من

إنجيل مرقس أو تخلو منها تماما، أما "النسخة المعتمدة المراجعة" فتعلق في نهاية الآية ٨ بأن بعض المصادر القديمة ينتهي إنجيل مرقس بها عند هذه الآية، ويترتب علي ذلك أيضا أن سرد إنجيل مرقس لقصة القيامة في الآيات التالية (ابتداء من ١٦/ ٩) لا يعتد به.

عبد المسيح : ولكن يسوع قال في (متى ٢٨/ ١٩) :

(فَاذْهَبُوا إِذَنْ، وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ) [متى ٢٨/ ١٩].

عبد الله : إن عبارة "جميع الأمم" إنما تعني جميع أسباط (قبائل) بني إسرائيل الإثناعشر، وإلا تناقضت مع ما جاء في (متى ١٥/ ٢٤) و (متى ١/ ٢١) كما رأينا من قبل، ويتضح ذلك أيضا من الترجمة الأمريكية المعتمدة الجديدة والترجمة العالمية الجديدة الإنجليزيتين، حيث ترجمت العبارة هكذا:

"All the Nations" والتي تعني: الأمم المعينة (بني إسرائيل)، وليس بعبارة: "All Nations" التي تعني : كل أمم العالم.

ولعلك ترى الآن صعوبة الاعتقاد أن هذه النصوص فعلا من عند الله ؟

عبد المسيح : أحسب الآن أن الأمر يحتاج إلى إعادة تمحيص.

عبد الله : وأنا على يقين أنك ستقتنع في النهاية بأن القرآن هو الكتاب الوحيد الباقي بنصه كما نزل من الله تعالى، وذلك عندما نستكمل مناقشة باقي القضايا التي نختلف عليها الآن.



٣- توحيد أم تثليث

عبد الله: أتؤمن حقيقة بأن الله ثالث ثلاثة ؟

عبد المسيح : طبعا ، كما جاء في رؤيا يوحنا الأولى (٥/ ٧-٨) :

(فَإِنَّ هُنَالِكَ ثَلاَثَةَ شُهُودٍ فِي السَّمَاءِ، الآبُ وَالْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، وَهَؤُلاءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ) [رؤيا يوحنا الأولى ٥/ ٧-٨].

عبد الله: لا يا صديقي فإن هذه العبارة : "الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد"، التي كانت في طبعة عام ١٦١١ الإنجليزية (طبعة الملك جيمس) قد تم حذفها من الطبعات القياسية المراجعة أعوام ١٩٥٢ ثم ١٩٧١ ثم في العديد من الطبعات الأخرى، بعدما تبين أنها أقحمت على الأصل اليوناني الذي ترجمت منه كل طبعات الكتاب المقدس.

وأنا أقدر أنك ربما لم تلحظ من قبل ما جرى من تصحيح لهذه الفقرة في الطبعات الجديدة، ولكني أتساءل هل غابت عن علم رجال الدين والوعاظ ؟ الخلاصة أن التثليث لم يرد في الإنجيل ولم يبشر به المسيح، ولم ترد كلمة "الثالوث" أو "التثليث" أصلا في الكتاب المقدس ولا في معاجم ألفاظه ، ومن ثم لا نجد في النصوص دليلا ولا أساسا البتة لفكرة التثليث.

عبد المسيح : ولكننا نقرأ في إنجيل متى (٢٨/ ١٩) :

(فَاذْهَبُوا إِذَنْ، وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ) [متى ٢٨/ ١٩]، وهذه العبارة ما زالت قائمة ومعتمدة في نسخ الأناجيل.

عبد الله : هذا فهم متعسف للآية ٢٨/ ١٩، فعندما نذكر اجتماع ثلاثة أشخاص على شيء هل يعني ذلك أنهم أصبحوا شخصا واحدا أو ثلاثة أشخاص في واحد؟ ويسجل لنا التاريخ أن عقيدة التثليث لم يأت بها المسيح وإنما ابتدعها أثناسيوس بطريرك الإسكندرية واعتمدها مجمع نيقية عام ٣٢٥ م، أي بعد رحيل المسيح بثلاثة قرون، ولا شك أن الأفكار

الوثنية السائدة لدى الرومان قد ألقت بظلها على العقيدة فأوحت بما تحمله من أفكار كتثليث الألوهية، وكان من نتاجها أيضا تغير يوم الراحة (السبت) إلى الأحد لأن "الأحد" ٢٥ ديسمبر هو يوم ميلاد "مترا" آلهة الشمس لديهم، كما أصبح هذا التاريخ (٢٥ ديسمبر) هو يوم الاحتفال بميلاد المسيح، وابتدعت عادة تزيين شجرة عيد الميلاد، رغم ما جاء في نبوءة إرمياء (١٠/ ٢-٥) من تحذير من هذه البدعة :

(هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «لاَ تَتَعَلَّمُوا طَرِيقَ الأُمَمِ، وَلاَ تَرْتَعِبُوا مِنْ آيَاتِ السَّمَاءِ الَّتِي تَرْتَعِبُ مِنْهَا الشُّعُوبُ. لأَنَّ عَادَاتِ الأُمَمِ بَاطِلَةٌ، إِذْ تُقْطَعُ الشَّجَرَةُ مِنَ الْغَابَةِ ثُمَّ تُشَذِّبُهَا وَتَنْحَتُهَا يَدَا صَانِعٍ بِفَأْسٍ. ثُمَّ يُزَيِّنُونَهَا بِالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَتُثَبَّتُ بِالْمَسَامِيرِ وَالْمَطَارِقِ لِئَلاَّ تَتَحَرَّكَ. فَتَكُونُ كَفَزَّاعَةٍ فِي حَقْلِ قِثَّاءٍ لاَ تَنْطِقُ، بَلْ تُحْمَلُ لأَنَّهَا عَاجِزَةٌ عَنِ الْمَشْيِ. فَلاَ تَخَافُوهَا لأَنَّهَا لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ) [إرمياء ١٠/ ٢-٥].

وهكذا ولما ابتعدت المسيحية شوطا بعيدا عما جاء به المسيح من تعاليم، أرسل الله تعالى رسوله الخاتم محمد ليعيد الأمر إلى نصابه ويصحح ما أحدثته الأمم بعد رحيل المسيح، من تحليل للحم الخنزير وإلغاء للختان، كما نادى بولس في غلاطيا (٥/ ٢) :

(هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ خُتِنْتُمْ، لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً) [غلاطيا ٥/ ٢]، ونادى كذلك باعتماد التقويم الروماني كبداية للتاريخ.

وقد بكّت القرآن الكريم بشدة ما انحرفت إليه الفرق المسيحية من تثليث :

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة:٧٣].

هل ترى الآن أي دليل أو قرينة على التثليث الذي لم ينطق به المسيح عليه السلام ؟

عبد المسيح : إني أعتقد على الأقل أن الرب ويسوع شيء واحد، كما في يوحنا (١٤/ ١١):

(صَدِّقُوا قَوْلِي: إِنِّي أَنَا فِي الآبِ وَإِنَّ الآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي بِسَبَبِ تِلْكَ الأَعْمَالِ) [يوحنا ١٤/ ١١].

عبد الله : ولم لا تقرأ أيضا (يوحنا ١٧/ ٢١)، لتفهم المقصود مما ذكرت؟

عبد المسيح : إنها تقول : (لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً، أَيُّهَا الآبُ، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا، لِكَيْ يُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي) [يوحنا ١٧/ ٢١].

عبد الله : إذن، إذا كنت تفهم من العبارة الأولى (١٤/ ١١) أن الرب ويسوع هما واحد، فلم لا يكون أيضا الحواريون مع يسوع والرب واحدا كما في (١٧/ ٢١)، وبالتالي إذا كان هناك من يقول أن يسوع هو الرب لأنه هو والرب واحد، فلم لا يكون الحواريون أيضا هم الرب لأنهم مثلما كان يسوع (في الآية الأولى) هم ويسوع والرب واحدا؟

وأكثر من ذلك إذا كانت دعوة التثليث تنص على أن الرب ويسوع والروح القدس شيء واحد هو الثالوث، فبنفس المنطق يصبح الحواريون مع الرب ويسوع والروح القدس شيئا واحدا: قوامه "خمسة عشر في واحد" ؟

عبد المسيح : ولكن يسوع هو الرب طبقا ليوحنا (١٤/ ٩) :

(فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «مَضَتْ هَذِهِ الْمُدَّةُ الطَّوِيلَةُ وَأَنَا مَعَكُمْ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَافِيلِبُّسُ؟ الَّذِي رَآنِي رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ: أَرِنَا الآبَ؟) [يوحنا ١٤/ ٩].

عبد الله : إنك لا تستطيع أن تفسر هذه العبارة بمعزل عن السياق الذي جاءت فيه، فاقرأ ما جاء قبلها مباشرة في يوحنا (١٤/ ٨) :

(فَقَالَ لَهُ فِيلِبُّسُ: «يَاسَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا!») [يوحنا ١٤/ ٨].

وفي نهاية السياق يتساءل عيسى في حديثه مع فيلبس أنَّى له أن يُرِيَ الله للحواريين فذلك مستحيل، إنما يُعْرَف الله سبحانه بعظمة مخلوقاته من شمس وقمر ومجرات وسائر خلقه اللانهائي، ومن مخلوقاته: عيسى عليه السلام، أما الله ذاته فلا يُرَى.

ألم يجئ في (يوحنا ٤/ ٢٤): (اللهُ رُوحٌ، فَلِذلِكَ لاَبُدَّ لِعَابِدِيهِ مِنْ أَنْ يَعْبُدُوهُ بِالرُّوحِ وَبِالْحَقِّ) [يوحنا ٤/ ٢٤].

وكذلك في (يوحنا ٥/ ٣٧): (وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ نَفْسُهُ أَيْضاً يَشْهَدُ لِي. وَأَنْتُمْ لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُمْ هَيْئَتَهُ) [يوحنا ٥/ ٣٧].

وهل في قدرة الإنسان أن يرى الروح رأي العين، لقد رأوا يسوع البشر وما رأوا الرب

قط، وهذا ما يؤكده بولس أيضا في رسالته الأولى إلى تيموثاوس :

(الَّذِي وَحْدَهُ لاَ فَنَاءَ لَهُ، السَّاكِنُ فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَيُّ إِنْسَانٍ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ. لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الأَبَدِيَّةُ. آمِين) [تيموثاوس (٢) ٦/ ١٦].

لذا يستحيل لبشر أن يرى الرب جسدا ماديا ويحسم القرآن الأمر في عبارة بليغة: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

عبد المسيح : دعني أكن صريحا معك فإني لا أستطيع أن أعيد النظر بسهولة فيما لقنته منذ الطفولة.

عبد الله : حسنا. لأعينك على تحليل قضية التثليث أسألك بعض الأسئلة: أولا ما هو الروح القدس؟

عبد المسيح : الروح القدس هو الرب. لقد تعلمنا أن نقول أن الآب هوالرب، والابن هو الرب، والروح القدس هو الرب، ولا يصح أن نقول أنهم ثلاثة أرباب بل هم ثلاثة في واحد.

عبد الله : اقرأ إذن (متى ١/ ١٨).

عبد المسيح : (أَمَّا يَسُوعُ الْمَسِيحُ فَقَدْ تَمَّتْ وِلادَتُهُ هَكَذَا: كَانَتْ أُمُّهُ مَرْيَمُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، وَقَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا مَعاً، وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ) [متى ١/ ١٨].

عبد الله : قارن إذن ما قرأته بما جاء في (لوقا ١/ ٢٦ -٢٧).

عبد المسيح : (وَفِي شَهْرِهَا السَّادِسِ، أُرْسِلَ الْمَلاَكُ جِبْرَائِيلُ مِنْ قِبَلِ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ بِالْجَلِيلِ اسْمُهَا النَّاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ اسْمُهُ يُوسُفُ، مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ، وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ) [لوقا ١/ ٢٦ -٢٧].

عبد الله : إذن فإن الذي أُرسل إلى مريم العذراء حين حَمْلِها المعجز دون أب كان (في رواية متى) هو الروح القدس، وفي رواية لوقا هو جبريل، من هو الروح القدس إذن ؟

عبد المسيح : الروح القدس إذن هو جبريل.

عبد الله : أين الثالوث إذن ؟

عبد المسيح : الرب إذن هو الرب، والروح القدس هو جبريل، ويسوع هو ....

عبد الله : دعني أساعدك : عيسى رسول بَشَر من عند الله ، ابن مريم من غير أب.

عبد المسيح : كيف إذن أهتدي إلى الحق الذي لا غموض فيه ولا لبس ولا تناقض؟

عبد الله : الإجابة في القرآن الذي أنزله الله، مصححا لما طرأ على العقائد السابقة وعلى كتبها من تغيير وتبديل، للعودة إلى الحقائق البسيطة الساطعة: الله الواحد لا شريك له، وعيسى ابن مريم نبي الله، الذي جاء بعد رهط طويل من الأنبياء، مبشرا بخاتم الأنبياء بعده محمد صلى الله عليه وسلم.

هل بقيت لديك تساؤلات تحول بينك وبين الإقرار بالتوحيد والاعتراف بسائر الأنبياء ابتداء من آدم ونوح إلى موسى وعيسى ثم محمد (عليهم الصلاة والسلام)؟

عبد المسيح : إني الآن في قرارة نفسي أطمئن إلى هذه الحقائق تماما، ولكني لا أستطيع أن أخالف ما كان عليه آبائي وأجدادي، إنني قطعة منهم لا تنفصم.

عبد الله : أنت حر وكلنا أحرار فيما نعتقد، وكل إنسان مسئول مباشرة عن فعله، ولن ينفع أحد أحدا يوم القيامة: أبا كان أو ابنا أو زوجا ، ولنا في إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة، حين فارق دين أبيه وقومه عندما هداه الله لرسالة الحق التي جاء بها كل الأنبياء بلا استثناء. ولعل الله قد هداك بهذا الحوار إلي ما لم يتح لأهلك من قبل، هذا قدرك، ولا تزر وازرة وزر أخرى، ألم تسمع الآيات :

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥] .

عبد المسيح : ألا يمكن أن يكون المرء مسلما ومسيحيا في نفس الوقت ؟

عبد الله : لا إكراه في الدين. تستطيع أن تعتنق ما تشاء وتفعل ما تشاء، ولكنك إذا جمعت بين الاثنين لا تعد مسلما، فإن المسلم هو الذي يعتقد ويلتزم بكل ما جاء به الإسلام، و إلا لم يكن مؤمنا بعد، كما جاء في قوله تعالى في سورة النساء :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠ -١٥٢].

وأثق أنك في النهاية ستسلم معي بكل ما عرضته عليك.

عبد المسيح : هب أنني اقتنعت بكل ما تقول. ألا أستطيع أن أحتفظ باقتناعي في قرارة نفسي دون إعلان، حتى أظل حرا ولا أتقيد بشيء يلزمني.

عبد الله : تَذَكَّرْ أنك متى بَلَغْتَ وأصبحت راشدا فقد أصبحت مسئولا أمام الله: إما أن تعتنق وتشهد بالحق أو غيره، فلم يخلقنا الله عبثا ولم يزودنا بالحواس وبالعقل الذي نميز به بين الحق والباطل بلا طائل، وإنما خلقنا لنعبده ونعمر الأرض بالحق ونتنافس في فعل الخير ودفع الشر، وأرسل الرسل مذكِّرين لنا بهذه الحقائق، ومبشرين ومنذرين بحساب الله العادل يوم القيامة.

واقرأ هذه الآيات :

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩١].

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ٨-١٠].

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧].

٤ - هل المسيح بشر أم إله ؟

عبد الله : أما زلت تعتقد أن يسوع هو الرب ؟

عبد المسيح : نعم. ففي إنجيل يوحنا (١/ ١) :

(فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ. وَكَانَ الْكَلِمَةُ هُوَ اللهُ) [يوحنا ١/ ١].

عبد الله : لقد اتفقنا أن كلام الله لا ينبغي أن يتناقض مع بعضه، فإذا تناقضت عبارتان إما أن تكون أحدهما أو كلاهما خطأ.

والآن إذا كنت تفهم من (يوحنا ١/ ١) أن يسوع هو الرب، فكم ربا لهذا الكون، ألم يؤكد الكتاب المقدس في أكثر من موضع على التوحيد المطلق الذي يتناقض مع مفهوم "يسوع الرب"، وتأمل هذه النصوص :

(فَاعْتَرِفُوا الْيَوْمَ وَرَدِّدُوا فِي قُلُوبِكُمْ قَائِلِينَ: إِنَّ الرَّبَّ هُوَ الإِلَهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ وَلَيْسَ إِلَهٌ سِوَاهُ) [تثنية ٤/ ٣٩].

(اسْمَعُوا يَابَنِي إِسْرَائِيلَ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ) [تثنية ٦/ ٤].

(أَنْتُمْ شُهُودِي يَقُولُ الرَّبُّ، وَعَبْدِي الَّذِي اصْطَفَيْتُهُ، لِتَعْلَمُوا وَتُؤْمِنُوا بِي، وَتُدْرِكُوا أَنِّي أَنَا أَنَا هُوَ اللهُ ، لَمْ يُوجَدْ إِلَهٌ قَبْلِي وَلاَ يَكُونُ إِلَهٌ بَعْدِي. أَنَا هُوَ الرَّبُّ، وَلاَ مُخَلِّصَ غَيْرِي) [إشعياء ٤٣/ ١٠-١١].

(هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ: «أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرِي) [إشعياء ٤٤/ ٦].

(لأَنَّ هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ، «إِنَّهُ اللهُ مُكَوِّنُ الأَرْضِ وَصَانِعُهَا، وَمُرْسِي قَوَاعِدِهَا: لَمْ يَخْلُقْهَا لِتَكُونَ خَوَاءً، بَلْ لِتُصْبِحَ آهِلَةً بِسُكَّانِهَا. أَنَا هُوَ الرَّبُّ وَلَيْسَ هُنَاكَ آخَرُ) [إشعياء ٤٥/ ١٨].

واقرأ أيضا المزيد من الأمثلة في : تثنية ٤/ ٣٥، خروج ٨/ ١٠، صموئيل الثاني ٧/ ٢٢، ملوك أول ٨/ ٢٣ ، أيام أول ١٧/ ٢٠، مزامير ٨٦/ ٩ و ٨٩/ ٦ و ١١٣/ ٥،

يوشع ١٣/ ٤، وأخيرا زكريا ١٤/ ٩.

عبد المسيح : ولكن هذه الأمثلة كلها من العهد القديم لا من العهد الجديد.

عبد الله : حسنا، اقرأ ما جاء على لسان يسوع نفسه في مرقس (١٢/ ٢٩) :

(فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «أُولَى الْوَصَايَا جَمِيعاً هِيَ: اسْمَعْ يَاإِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ) [مرقس ١٢/ ٢٩].

وكذلك ما جاء في تيموثاوس الأولى (٢/ ٥) :

(فَإِنَّ اللهَ وَاحِدٌ، وَالْوَسِيطُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الإِنْسَانُ المسِيحُ يَسُوعُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عِوَضاً عَنِ الْجَمِيعِ. هَذِهِ شَهَادَةٌ تُؤَدَّى فِي أَوْقَاتِهَا الْخَاصَّةِ) [تيموثاوس الأولى ٢/ ٥].

وكورنثوس الأولى (٨/ ٤) :

(فَفِيمَا يَخُصُّ الأَكْلَ مِنْ ذَبَائِحِ الأَصْنَامِ، نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الصَّنَمَ لَيْسَ بِإِلهٍ مَوْجُودٍ فِي الْكَوْنِ، وَأَنَّهُ لاَ وُجُودَ إِلاَّ لإِلهٍ وَاحِدٍ) [كورنثوس الأولى ٨/ ٤].

والآن إما أن يكون ما جاء في (يوحنا ١/ ١) هو الصواب وباقي النصوص كلها خطأ أو العكس.

عبد المسيح : هذا قرار صعب!

عبد الله : فلنلجأ إلى القرآن ليوضح لنا الإشكال المتعلق بلفظ "الكلمة"، فالقرآن يستخدم نفس اللفظ في ذكره لعيسى عليه السلام ولكن بمفهوم واضح صحيح، ففي سورة آل عمران نقرأ:

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران: ٣٩].

وفي نفس السورة أيضا نقرأ:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ

مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران: ٤٥].

فأنت ترى أن "الكلمة" في القرآن (نابعة من الله أو تابعة لله) وليست "ذات" الله، ويتفق ذلك مع ما جاء في رسالة كورنثوس الأولى (٣/ ٢٣) :

(وأنتم وَأَنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، وَالمسِيحُ لله) [كورنثوس الأولي ٣/ ٢٣].

لذا فإن عبارة (يوحنا ١/ ١) لِتتفق مع كل النصوص الأخرى ينبغي أن تُقْرَأ هكذا: الكلمة كانت "من الله"، وربما حذفت "من" نتيجة للترجمة من الآرامية إلى اليونانية إما عمدا أو دون قصد، والله أعلم، ففي اللغة اليونانية نجد أن كلمة Theos تعني : "الرب"، أما كلمة Theou فتعني : "من الرب"، أي أن اختلاف حرف واحد في النقل أو الترجمة يغير المعنى كلية.

عبد المسيح : ولكن لِمَ يُطْلَق وصف "كلمة" على يسوع في القرآن وفي الإنجيل سويا؟

. **عبد الله** : لأن خلق عيسى ابتداء في رحم مريم العذراء لم يكن بواسطة مادية أو نطفة بشرية وإنما كان بإرادة الله المتمثلة في كلمة "كُنْ"، مصداقا لقوله تعالى :

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٧].

عبد المسيح : ولكنا نعتقد أيضا أن يسوع هو الرب لأنه "امتلأ بالروح القدس".

عبد الله : إذا كان الأمر كذلك فماذا تقول في أناس غيره امتلأوا - طبقا للكتاب المقدس - بالروح القدس مثل :

(فَقَدْ كَانَ بَرْنَابَا رَجُلاً صَالِحاً مُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَالإِيمَانِ. وَانْضَمَّ إِلَى الرَّبِّ جَمْعٌ كَبِيرٌ) [أعمال ١١/ ٢٤].

و : (وَنَحْنُ نَشْهَدُ عَلَى هَذَا، وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي وَهَبَهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ) [أعمال ٥/ ٣٢].

وكذلك : (وَوَقَعَ الاخْتِيَارُ عَلَى اسْتِفَانُوسَ، وَهُوَ رَجُلٌ مَمْلُوءٌ مِنَ الإِيمَانِ وَالرُّوحِ

الْقُدُسِ) [أعمال ٦/ ٥].

و : (بَلْ تَكَلَّمَ بِالنُّبُوآتِ جَمِيعاً رِجَالُ الله القِدِّيسُون مَدْفُوعِينَ بِوَحْيِ الرُّوحِ الْقُدُسِ) [بطرس الثانية ١/ ٢١].

و : (وَحَافِظْ عَلَى الأَمَانَةِ الْكَرِيمَةِ الْمُودَعَةِ لَدَيْكَ، بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْحَالِّ فِينَا) [تيموثاوس الثانية ١/ ١٤].

و : (وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الأُمُورِ لاَ فِي كَلاَمٍ تُعَلِّمُهُ الْحِكْمَةُ الْبَشَرِيَّةُ، بَلْ فِي كَلاَمٍ يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، مُعَبِّرِينَ عَنِ الْحَقَائِقِ الرُّوحِيَّةِ بِوَسَائِلَ رُوحِيَّةٍ) [كورنثوس الأولى٢/ ١٣].

و : (وَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ، قَفَزَ الْجَنِينُ دَاخِلَ بَطْنِهَا. وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ) [لوقا ١/ ٤١].

عبد المسيح : ولكن امتلاء يسوع بالروح القدس تم منذ كان في رحم أمه.

عبد الله : ونفس الشيء حدث ليوحنا المعمدان كما جاء في لوقا (١/ ١٣، ١٥) :

(فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَفْ يَازَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَزَوْجَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْناً، وَأَنْتَ تُسَمِّيهِ يُوحَنَّا، ... وَسَوْفَ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ، وَلاَ يَشْرَبُ خَمْراً وَلاَ مُسْكِراً، وَيَمْتَلِيءُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَهُوَ بَعْدُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ) [لوقا ١/ ١٣، ١٥].

عبد المسيح : ولكن يسوع كان يصنع المعجزات، ألم يطعم خمسة آلاف دفعة واحدة من خمسة أرغفة وسمكتين فحسب ؟

عبد الله : لقد صنع مثل ذلك بقدرة الله أليشع وإيليا، فالأول أطعم مائة شخص بعشرين رغيف شعير مع بعض كيزان الذرة :

(وَحَضَرَ رَجُلٌ مِنْ بَعْلِ شَلِيشَةَ حَامِلاً مَعَهُ لِرَجُلِ الله عِشْرِينَ رَغِيفاً مِنَ الشَّعِيرِ، مِنْ أَوَائِلِ الْحَصَادِ وَسَوِيقاً فِي جِرَابِهِ. فَقَالَ: «أَعْطِ الرِّجَالَ لِيَأْكُلُوا». فَقَالَ خَادِمُهُ: «مَاذَا؟ هَلْ أَضَعُ هَذَا أَمَامَ مِئَةِ رَجُلٍ؟» فَقَالَ أَلِيشَعُ: «أَعْطِ الرِّجَالَ لِيَأْكُلُوا، لأَنَّهُ هَذَا مَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَفْضُلُ عَنْهُمْ». فَوَضَعَهَا أَمَامَهُمْ فَأَكَلُوا، وَفَضَلَ عَنْهُمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ) [ملوك ثاني ٤/ ٤٢-٤٣].

كما بارك في قليل من الزيت لدى أرملة حتى قضت بثمنه ديونها وأغناها الله :

(فَجَاءَتْ إِلَى رَجُلِ اللهِ وَأَخْبَرَتْهُ. فَقَالَ لَهَا: «اذْهَبِي وَبِيعِي الزَّيْتَ وَأَوْفِي دَيْنَكِ، وَعِيشِي أَنْتِ وَأَبْنَاؤُكِ بِمَا يَتَبَقَّى مِنْ مَالٍ ») [ملوك ثاني ٤/ ٧].

ومثل ذلك ما جاء منسوبا إلى إيليا:

(جَرَّةُ الدَّقِيقِ لَمْ تَفْرُغْ، وَقَارُورَةُ الزَّيْتِ لَمْ تَنْقُصْ، تَمَاماً كَمَا قَالَ الرَّبُّ عَلَى لِسَانِ إِيلِيَّا) [ملوك أول ١٧/ ١٦].

و : (فَكَانَتِ الْغِرْبَانُ تُحْضِرُ إِلَيْهِ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ صَبَاحاً وَمَسَاءً، وَكَانَ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ) [ملوك أول ١٧/ ٦].

عبد المسيح : ولكن يسوع كان يبرئ الأبرص !

عبد الله : وكذلك جعل أليشع الأبرص "نعمان" يغتسل في نهر الأردن فشفي من البرص:

(فَنَزَلَ نُعْمَانُ إِلَى نَهْرِ الأُرْدُنِّ وَغَطَسَ فِيهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، كَمَا أَمَرَ رَجُلُ اللهِ، فَرَجَعَ لَحْمُهُ كَلَحْمِ صَبِيٍّ صَغِيرٍ، وَطَهُرَ مِنْ بَرَصِهِ) [ملوك ثاني ٥/ ١٤].

عبد المسيح : ولكن يسوع جعل الأعمى يبصر!

عبد الله : وكذلك فعل أليشع :

(وَتَضَرَّعَ أَلِيشَعُ قَائِلاً: «يَارَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ فَيُبْصِرَ». فَفَتَحَ الرَّبُّ عَيْنَيِ الْخَادِمِ، وَإِذَا بِهِ يُشَاهِدُ الْجَبَلَ يَكْتَظُّ بِخَيْلٍ وَمَرْكَبَاتِ نَارٍ تُحِيطُ بِأَلِيشَعَ) [ملوك ثاني ٦/ ١٧].

و : (فَلَمَّا أَصْبَحُوا دَاخِلَ السَّامِرَةِ صَلَّى أَلِيشَعُ قَائِلاً: «يَارَبُّ افْتَحْ عُيُونَهُمْ فَيُبْصِرُوا». فَفَتَحَ الرَّبُّ عُيُونَهُمْ، وَإِذَا بِهِمْ يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي وَسَطِ السَّامِرَةِ) [ملوك ثاني ٦/ ٢٠].

كما استطاع أليشع أن يصيب أناسا بالعمى :

(وَعِنْدَمَا تَقَدَّمَ جَيْشُ أَرَامَ نَحْوَ أَلِيشَعَ صَلَّى إِلَى الرَّبِّ قَائِلاً: «أَصِبْ هَذَا الْجَيْشَ بِالْعَمَى». فَضَرَبَهُمُ الرَّبُّ بِالْعَمَى اسْتِجَابَةً لِدُعَاءِ أَلِيشَعَ) [ملوك ثاني ٦/ ٢٠].

عبد المسيح : أما يسوع فقد كان يحيي الموتى !

عبد الله : جرى الشيء نفسه على يد إيليا :

(فَاسْتَجَابَ الرَّبُّ دُعَاءَ إِيلِيَّا، وَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَيْهِ فَعَاشَ) [ملوك أول ١٧/ ٢٢].

وكذلك على يد أليشع :

(وَدَخَلَ أَلِيشَعُ الْبَيْتَ وَإِذَا بِالصَّبِيِّ مَيْتٌ فِي سَرِيرِهِ. فَدَخَلَ الْعُلِّيَّةَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَتَضَرَّعَ إِلَى الرَّبِّ، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَوْقَ جُثَّةِ الصَّبِيِّ، وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ، وَعَيْنَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَيَدَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ، فَبَدَأَ الدِّفْءُ يَسْرِي فِي جَسَدِ الصَّبِيِّ) [ملوك ثاني ٤/ ٣٢-٣٤].

وأكثر من ذلك عادت الحياة إلى جثة رجل ميت بمجرد مسها لعظام أليشع بعد موته:

(وَ فِيمَا كَانَ قَوْمٌ يَقُومُونَ بِدَفْنِ رَجُلٍ مَيْتٍ. فَمَا إِنْ رَأَوْا الْغُزَاةَ قَادِمِينَ حَتَّى طَرَحُوا الْجُثْمَانَ فِي قَبْرِ أَلِيشَعَ، وَمَا كَادَ جُثْمَانُ الميْتِ يَمَسُّ عِظَامَ أَلِيشَعَ حَتَّى ارْتَدَّتْ إِلَيْهِ الْحَيَاةُ، فَعَاشَ وَنَهَضَ عَلَى رِجْلَيْهِ) [ملوك ثاني ١٣/ ٢١].

عبد المسيح : ولكن يسوع مشى على الماء !

عبد الله : ألم ينفلق البحر بأكمله ليمشي عليه موسى وأتباعه :

(فَاجْتَازَ الإِسْرَائِيلِيُّونَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ عَلَى أَرْضٍ يَابِسَةٍ، فَكَانَ الماءُ بِمَثَابَةِ سُورَيْنِ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِه) [خروج ١٤/ ٢٢].

عبد المسيح : ولكن يسوع كان يطرد الشياطين !

عبد الله : لقد أكد هو نفسه أن ذلك في مقدور غيره من البشر:

(وَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ بِبَعْلَزَبُولَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يَطْرُدُونَهُمْ؟ لِذَلِكَ هُمْ يَحْكُمُونَ عَلَيْكُمْ؟) [متى ١٢/ ٢٧] و: [لوقا ١١/ ١٩]

بل إن الحواريين أيضا قد تمكنوا من طرد الشياطين:

(فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَيَقُولُ لِي كَثِيرُونَ: يَارَبُّ، يَارَبُّ، أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ طَرَدْنَا الشَّيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ عَمِلْنَا مُعْجِزَاتٍ كَثِيرَةً؟) [متى٧/ ٢٢].

ليس هذا فحسب بل إن المسيح قد تنبأ بأن معجزات ستظهر على أيدي أنبياء كذبة:

(فَسَوْفَ يَبْرُزُ أَكْثَرُ مِنْ مَسِيحٍ دَجَّالٍ وَنَبِيٍّ دَجَّالٍ، وَيُقَدِّمُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَأَعَاجِيبَ، لِيُضَلِّلُوا حَتَّى المخْتَارِينَ، لَوِ اسْتَطَاعُوا) [متى ٢٤/ ٢٤].

عبد المسيح : ولكن ما فعله إيليا وأليشع إنما كان نتيجة دعائهم للرب !

عبد الله : وما كان يسوع يصنع شيئا إلا بفضل الله وقدرته كما صرح نفسه بذلك:

(وَأَنَا لاَ يُمْكِنُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِي، بَلْ أَحْكُمُ حَسْبَمَا أَسْمَعُ، وَحُكْمِي عَادِلٌ، لأَنِّي لاَ أَسْعَى لِتَحْقِيقِ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَةِ الَّذِي أَرْسَلَنِي) [يوحنا ٥/ ٣٠].

و: (أَمَّا إِذَا كُنْتُ أَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ بِإِصْبَعِ اللهِ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ) [لوقا ١١/ ٢٠].

وكل ما جرى على يده من معجزات جرى مثله على يد من سبقه من الأنبياء، وارتبط تحقيق معجزاته بالإيمان بها، كما جاء في (مرقس ٥/ ٥ - ٦):

(وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَعْمَلَ هُنَاكَ أَيَّةَ مُعْجِزَةٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمَسَ بِيَدَيْهِ عَدَداً قَلِيلاً مِنَ الْمَرْضَى فَشَفَاهُمْ. وَتَعَجَّبَ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ. ثُمَّ أَخَذَ يَطُوفُ بِالْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ وَهُوَ يُعَلِّمُ) [مرقس ٦/ ٥-٦].

عبد المسيح : ولكن المسيح مات وقام بعد ثلاثة أيام !

عبد الله : سنتناول موضوع الصلب والقيامة فيما بعد، لأن هناك الكثير مما يقال في رد الموضوع من أساسه، ولكني أكتفي الآن بأن فكرة الصلب والقيامة إنما نشأت على يد بولس الذي لم يلق المسيح أبدا في زمانه :

(اذْكُرْ يَسُوعَ المسِيحَ الَّذِي أُقِيمَ مِنَ الْمَوْتِ، وَهُوَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، كَمَا أُعْلِنُهُ فِي إِنْجِيلِي) [تيموثاوس الثانية ٨/ ٢].

أما رواية القيامة، كما جاءت في إنجيل مرقس (١٦/ ٩-٢٠)، فقد حذفت من العديد من طبعات الكتاب المقدس - كما أوضحت آنفا، وفي غيرها من الطبعات تكتب وحدها بخط صغير أو بين قوسين مع التعليق عليها، ودعني أسألك بدوري سؤالا محددا : هل قال

يسوع يوما أنه الرب، أو قال : "ها أنا ربكم فاعبدوني"، أو نحو ذلك.

عبد المسيح : لا ولكنه بشر ورب في نفس الوقت.

عبد الله : وحتى هذه هل جرت على لسانه بأي صيغة من الصيغ؟

عبد المسيح : لا.

عبد الله : بل إنه قد تنبأ أن أناسا بعده سيعبدونه بالباطل، وسيتبعون عقائد باطلة وشرائع يبتدعونها من عند أنفسهم لا يرضاها الله :

(إِنَّمَا بَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ لَيْسَتْ إِلاَّ وَصَايَا النَّاسِ) [متى ٩/ ١٥].

وقد صدقت نبوءته، أليست أهم ركائز المسيحية المعاصرة قد استحدثت من بعده، وما نطق بها المسيح ولا دعا إليها: ابتداء من التثليث، إلى بنوته لله وربوبيته، وانتهاء بفدائه تكفيرا عن الخطيئة الأولى!

ولو راجعت بدقة كل أقوال المسيح المدونة في العهد الجديد ما وجدت تصريحا ولا إشارة لربوبيته، فهو يقول صراحة:

(لِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «عِنْدَمَا تُعَلِّقُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ تَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَأَنِّي لاَ أَعْمَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَقُولُ الْكَلاَمَ الَّذِي عَلَّمَنِي إِيَّاهُ أَبِي) [يوحنا ٨/ ٢٨].

و : (سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي ذَاهِبٌ عَنْكُمْ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْكُمْ. فَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لَكُنْتُمْ تَبْتَهِجُونَ لأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الآبِ، لأَنَّ الآبَ أَعْظَمُ مِنِّي) [يوحنا ١٤/ ٢٨].

و : (فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «أُولَى الْوَصَايَا جَمِيعاً هِيَ: اسْمَعْ يَاإِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ) [مرقس ١٢/ ٢٩].

و : (وَفِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «أَلُوِي أَلُوِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: «إِلهِي إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟) [مرقس ١٥ : ٣٤].

ثم : (وَقَالَ يَسُوعُ صَارِخاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «يَاأَبِي، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي!») [لوقا ٢٣/ ٤٦].

وأخيرا : (وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْرِفُهُمَا أَحَدٌ، لاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ) [مرقس ١٣/ ٣٢].

فيسوع في الإنجيل هو "النبي" وهو "المعلم" وهو "عبد الله" وهو "المسيح"، قبل أن يحوله البشر إلى "ابن للرب" ثم إلى "الرب يسوع".

ودَعْنا الآن نحتكم إلى المنطق: كيف يولد الرب من جسد إنسان فانٍ كأي بشر غيره؟ ولقد كان المسيح ينام؛ بينما الرب لا ينام، كما جاء في مزمور (١٢١/ ٤) :

(أنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل) [مزمور ١٢١/ ٤].

والرب هو القوي الجليل فكيف يدعى عليه أنه حوكم وامتهن وصُلِب؛ وكيف يكون المسيح ربا إذا كان نفسه دائم العبادة لله كما في (لوقا ٥/ ١٦) :

(أَمَّا هُوَ، فَكَانَ يَنْسَحِبُ إِلَى الأَمَاكِنِ الْمُقْفِرَةِ حَيْثُ يُصَلِّي) [لوقا ٥/ ١٦].

وكان يتعرض لمكائد الشيطان فيدفعه كأي بشر صالح، واقرأ (لوقا ٤/ ١-١٣) ثم (جيمس ١/ ١٣) :

(أَمَّا يَسُوعُ، فَعَادَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَاقْتَادَهُ الرُّوحُ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، وَإِبْلِيسُ يُجَرِّبُهُ، وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئاً طَوَالَ تِلْكَ الأَيَّامِ. فَلَمَّا تَمَّتْ، جَاعَ. فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهَذَا الْحَجَرِ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى خُبْزٍ». فَرَدَّ عَلَيْهِ يَسُوعُ قَائِلاً: «قَدْ كُتِبَ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ!» ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ، وَأَرَاهُ مَمَالِكَ الْعَالَمِ كُلَّهَا فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ السُّلْطَةَ عَلَى هَذِهِ الْمَمَالِكِ كُلِّهَا وَمَا فِيهَا مِنْ عَظَمَةٍ، فَإِنَّهَا قَدْ سُلِّمَتْ إِلَيَّ وَأَنَا أُعْطِيهَا لِمَنْ أَشَاءُ. فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي، تَصِيرُ كُلُّهَا لَكَ!» فَرَدَّ عَلَيْهِ يَسُوعُ قَائِلاً: «قَدْ كُتِبَ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ، وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ!» ثُمَّ اقْتَادَهُ إِبْلِيسُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى حَافَةِ سَطْحِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلَى الأَسْفَلِ فَإِنَّهُ قَدْ كُتِبَ: يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ، فَعَلَى أَيْدِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ، لِئَلاَّ تَصْدِمَ قَدَمَكَ بِحَجَرٍ». فَرَدَّ عَلَيْهِ يَسُوعُ قَائِلاً: «قَدْ قِيلَ: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ!» وَبَعْدَمَا أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ، انْصَرَفَ عَنْ يَسُوعَ إِلَى أَنْ يَحِينَ الْوَقْتُ) [لوقا ٤/ ١-١٣].

و : (وَإِذَا تَعَرَّضَ أَحَدٌ لِتَجْرِبَةٍ مَا، فَلاَ يَقُلْ: «إِنَّ اللهَ يُجَرِّبُنِي!» ذَلِكَ لأَنَّ اللهَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُجَرِّبَهُ الشَّرُّ، وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ بِهِ أَحَداً) [جيمس ١/ ١٣].

فكيف يكون عيسى إذن رَبًّا ؟ وهذه كلها بعض الأمثلة الدامغة على أن عيسى - بنص الأناجيل - إنما كان نبيا بشرا؛ حاشا له أن يدعي الربوبية، وإذا تمعنت في سيرته في الأناجيل لازددت يقينا بذلك.

عبد المسيح : أنا معك أن هذا ما يتضح من سيرة المسيح; إلا أننا في ذات الوقت نسلم بأنه الرب بلا جدال.

عبد الله : ألا يتعارض ذلك التسليم مع ما نص عليه الكتاب المقدس نفسه من أن عليك أن تبرهن كل شيء:

(امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ) [تسالونكي الأولى ٥/ ٢١].

عبد المسيح : إنه حقا أمر محير!

عبد الله : ولكننا نقرأ في رسالة كورنثوس الأولى (١٤/ ٣٣):

(فَلَيْسَ اللهُ إِلهَ فَوْضَى بَلْ إِلهُ سَلاَمٍ، كَمَا هِيَ الْحَالُ فِي كَنَائِسِ الْقِدِّيسِينَ) [كورنثوس الأولى ١٤/ ٣٣].

حقا إن ما يبتدعه البشر لأنفسهم بأنفسهم هو الذ ي يبعث على الحيرة !

٥ - هل المسيح ابن الله ؟

عبد الله : هل المسيح ابن لله ؟

عبد المسيح : نعم، فقد جاء في إنجيل متى (٣/ ١٧)، عندما قام يحيى المعمدان بتعميد يسوع :

(وَإِذَا صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ يَقُولُ: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ، الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ كُلَّ سُرُور) [متى ٣/ ١٧].

عبد الله : تمهل يا صديقي ، فكلمة الابن هنا لا تعني ما نألفه من بنوة البشر لبعضهم البعض، ولا تدل علي وضع خاص للمسيح دون غيره من الناس، فقد استعمل الكتاب المقدس نفس اللفظ في حديثه عن غيره من الأنبياء؛ بل وعن الناس أجمعين، واقرأ معي في سفر الخروج (٤/ ٢٢).

عبد المسيح : (ثُمَّ قُلْ لِفِرْعَوْنَ: هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ هُوَ ابْنِي الْبِكْرُ) [خروج ٤/ ٢٢]

عبد الله : أرأيت ؟ هكذا يشار إلى نبي الله يعقوب (إسرائيل) أنه الابن البكر (لله)، ثم اقرأ الآن صموئيل الثاني (٧/ ١٣-١٤)، ومثله الأيام الأول (١٠/ ٢٢).

عبد المسيح : (هُوَ يَبْنِي بَيْتاً لِاسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ عَرْشَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ. أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً، إِنِ انْحَرَفَ أُسَلِّطُ عَلَيْهِ الشُّعُوبَ الأُخْرَى لأُقَوِّمَهُ بِضَرَبَاتِهِمْ) [٢صموئيل ٧/ ١٣-١٤]

و : (هُوَ يَبْنِي بَيْتاً لِاسْمِي، وَيَكُونُ لِيَ ابْناً، وَأَنَا لَهُ أَباً، وأُثَبِّتُ عَرْشَهُ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ) [الأيام الأول ١٠/ ٢٢].

عبد الله : وسيزداد عجبك عندما تقرأ إرمياء (٣١/ ٩) :

(سَيَرْجِعُونَ بِنَوْحٍ، وَبِتَضَرُّعَاتٍ أَهْدِيهِمْ. إِلَى جُوارِ جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ أُسَيِّرُهُمْ فَيَمْشُونَ فِي طَرِيقٍ مُسْتَقِيمَةٍ لاَ يَعْثُرُونُ فِيهَا، لأَنِّي أَبٌ لإِسْرَائِيلَ، وَأَفْرَايِمُ بِكْرِي») [إرمياء ٩/ ٣١].

بينما قرأت منذ هنيهة في سفر الخروج (٤/ ٢٢):

(ثُمَّ قُلْ لِفِرْعَوْنَ: هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ هُوَ ابْنِي الْبِكْرُ) [خروج ٤/ ٢٢].

فأيهما إذن الابن البكر: يعقوب (إسرائيل)، أم أفرايم ؟ وقبل أن تجيب على هذا التساؤل انظر كيف كان عامة الناس أيضا أبناء لله، كما في سفر التثنية (١٤/ ١).

عبد المسيح : (أَنْتُمْ أَبْنَاءٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ، فَلاَ تُجَرِّحُوا أَجْسَادَكُمْ) [تثنية ١٤/ ١].

عبد الله : بل إن أناسا كثيرين يشار إليهم أيضا بأنهم "ابن بكر"، واقرأ رومية (٢٩/ ٨).

عبد المسيح : (لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ، سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ أَيْضاً لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ الْبِكْرَ بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ) [رومية ٢٩/ ٨].

عبد الله : فإذا كان كل هؤلاء أبناء لله، وكان منهم "أبناء بكر" له، فماذا يكون المسيح إذن؟

عبد المسيح : هو الابن "المولود" الوحيد لله.

عبد الله : عفوا يا صديقي فقد جاء في المزامير (٢/ ٧) قبل مولد المسيح بقرون قول الرب لنبيه داود:

(إني أخبرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّب. قالَ لِي أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ) [مزمور ٢/ ٧].

أي أن داود أيضا كان الابن "المولود" للرب.

الخلاصة أن كلمة "الابن" في الكتاب المقدس لا تفهم حرفيًّا بل مجازيًّا بمعنى: أيّ إنسان أو جماعة يحبهم الله أو يؤثرهم على غيرهم، وقد أكد ذلك المعنى المسيح نفسه؛ عندما أكد للناس أبوة الله لهم وله (بهذا المعنى المجازيّ)، واقرأ (متى ٥/ ٤٥-٤٨).

عبد المسيح : (فَتَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ: فَإِنَّهُ يُشْرِقُ بِشَمْسِهِ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَغَيْرِ الأَبْرَارِ ... فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ، كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ هُوَ كَامِلٌ!) [متى ٥/ ٤٥-٤٨].

عبد الله : لذا فإنك حيثما قرأت في الكتاب المقدس عبارة " ابن الله" فإنك تفهم منها

معاني الحب والرحمة والقرب من الله تعالى للناس جميعا، وليست الأبوة الخاصة لأحد، وتبدو هذه العمومية بجلاء في عبارة كورنثوس الثانية (٦/ ١٨) :

(أَقْبَلَكُمْ، وَأَكُونَ لَكُمْ أَباً، وَتَكُونُوا لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ»، هَذَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) [كورنثوس الثانية ٦/ ١٨].

وفي سفر التكوين: (وَحَدَثَ لمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، انْجَذَبَتْ أَنْظَارُ أَبْنَاءِ الله إِلَى بَنَاتِ النَّاسِ فَرَأَوْا أَنَّهُنَّ جَمِيلاتٌ فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ مِنْهُنَّ زَوْجَاتٍ حَسَبَ مَا طَابَ لَهُمْ. فَقَالَ الرَّبُّ: «لَنْ يَمْكُثَ رُوحِي مُجَاهِداً فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ. هُوَ بَشَرِيٌّ زَائِغٌ، لِذَلِكَ لَنْ تَطُولَ أَيَّامُهُ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَقَطْ». وَفِي تِلْكَ الْحِقَبِ، كَانَ فِي الأَرْضِ جَبَابِرَةٌ، وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ أَبْنَاءُ الله عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَلَدْنَ لَهُمْ أَبْنَاءَ، صَارَ هَؤُلاَءِ الأَبْنَاءُ أَنْفُسُهُمُ الْجَبَابِرَةَ الْمَشْهُورِينَ مُنْذُ الْقِدَمِ) [تكوين ٦/ ١-٤].

فإذا تأملت هذه الفقرات، وغيرها العديد من الأمثلة في جنبات الكتاب المقدس، لأيقنت بها لا يدع مجالا للشك بأنه لا أساس على الإطلاق لمقولة أن المسيح ابن الله.

عبد المسيح : ولكن المسيح قد ولد من غير أب، فلابد أن الله أباه.

عبد الله : بهذا المنطق لم لا يكون آدم أيضا ابنا لله بمفهومكم؟ ألم يولد بغير أب ولا أم؟ وقد سماه الكتاب المقدس أيضا – مجازيا: "ابن الله" ، كما جاء في (لوقا ٣/ ٣٨) :

(بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيثٍ، بْنِ آدَمَ ابْنِ الله) [لوقا ٣/ ٣٨].

ثم اقرأ أيضا العبرانيين (٧/ ٣).

عبد المسيح : (وَالْوَحْيُ لاَ يَذْكُرُ لَهُ أَباً وَلاَ أُمّاً وَلاَ نَسَباً، كَمَا لاَ يَذْكُرُ شَيْئاً عَنْ وِلاَدَتِهِ أَوْ مَوْتِهِ. وَذَلِكَ لِكَيْ يَصِحَّ اعْتِبَارُهُ رَمْزاً لابْنِ الله، بِوَصْفِهِ كَاهِناً إِلَى الأَبَدِ) [عبرانيين ٧/ ٣].

عبد الله : أتعرف من "هو" المشار إليه فيما قرأت؟ الإجابة في العبرانيين أيضا (٧/ ١) :

(فَإِنَّ مَلْكِيصَادَقَ الْمَذْكُورَ، كَانَ مَلِكاً عَلَى مَدِينَةِ سَالِيمَ وَكَاهِناً لله الْعَلِيِّ، فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ. وَقَدِ اسْتَقْبَلَ إبراهيم الْعَائِدَ مُنْتَصِراً مِنْ مَعْرَكَةٍ هَزَمَ فِيهَا عَدَداً مِنَ الْمُلُوكِ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ بَرَكَةَ الله) [عبرانيين ٧/ ١].

بل إنه أكثر تفردا من المسيح ومن آدم عليهما السلام، فلم لا يكون هو الأَوْلَى بلقب ابن الرب (أو الرب نفسه !)؟

عبد المسيح : فما هي حقيقة المسيح في اعتقادكم؟

عبد الله : المسيح لدينا هو عيسى ابن مريم نبيُّ الله.

عبد المسيح : لا ننكر ذلك.

عبد الله : حقا إنها حقيقة بسيطة واضحة لا يملك أحد إنكارها، فلقد أكد المسيح نفسه أنه ابن الإنسان، وأنكر على من يسميه ابن الله، واقرأ لوقا (٤/ ٤١).

عبد المسيح : (وَخَرَجَتْ أَيْضاً شَيَاطِينُ مِنْ كَثِيرِينَ، وَهِيَ تَصْرُخُ قَائِلَةً: «أَنْتَ ابْنُ الله!» فَكَانَ يَزْجُرُهُمْ وَلاَ يَدَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، إِذْ عَرَفُوا أَنَّهُ الْمَسِيحُ) [لوقا ٤/ ٤١].

عبد الله : يتضح لك الآن كيف أبى المسيح أن يُطْلَق عليه "ابن الله"، وكرر إباءه في (لوقا ٩/ ٢٠-٢١) ، بل وأدان من يسيء إليه بهذه المقولة.

عبد المسيح : (فَسَأَلَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَهُ بُطْرُسُ: «أَنْتَ مَسِيحُ الله!» وَلكِنَّهُ حَذَّرَهُمْ، مُوْصِياً أَلاَّ يُخْبِرُوا أَحَداً بِذَلِكَ) [لوقا ٩/ ٢٠-٢١].

عبد الله : عيسى عليه السلام الذي كان لقبه "المسيح المنتظر"، بنص الأناجيل، تغير لقبه بعد رحيله على لسان بولس وغيره إلى "ابن الرب" ثم إلى "الرب ذاته"، فأنت تقرأ في البداية في إنجيل يوحنا:

(جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ جِئْتَ مِنَ الله مُعَلِّماً، لأَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مَا تَعْمَلُ مِنْ آيَاتٍ إِلاَّ إِذَا كَانَ اللهُ مَعَهُ») [يوحنا ٣/ ٢].

ثم في يوحنا أيضا : (فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «حَقّاً، هَذَا هُوَ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ) [يوحنا ٦/ ١٤]

وتقرأ مثله في وصف عيسى بالنبي فحسب في (يوحنا ٧/ ٤٠):

(وَلَمَّا سَمِعَ الْحَاضِرُونَ هَذَا الْكَلاَمَ قَالَ بَعْضُهُمْ: «هَذَا هُوَ النَّبِيُّ حَقّاً») [يوحنا ٧/ ٤٠].

وفي (متى ٢١/ ١١): (فَأَجَابَتِ الْجُمُوعُ: «هَذَا هُوَ يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ

بِالْجَلِيلِ») [متى ٢١/ ١١].

وفي (لوقا ٧/ ١٦ و ٢٤/ ١٩):

(فَاسْتَوْلَى الْخَوْفُ عَلَى الْجَمِيعِ، وَمَجَّدُوا اللهَ، قَائِلِينَ: «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَتَفَقَّدَ اللهُ شَعْبَهُ!»)، و: (فَقَالَ لَهُمَا: «مَاذَا حَدَثَ؟» فَقَالاَ: «مَا حَدَثَ لِيَسُوعَ النَّاصِرِيِّ الَّذِي كَانَ نَبِيّاً مُقْتَدِراً فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَالشَّعْبِ كُلِّهِ) [لوقا ٧/ ١٦ و ٢٤/ ١٩].

ثم تُفاجأ بطفرة مفاجئة على لسان بولس في أعمال الرسل (٩/ ٢٠):

(وَفِي الْحَالِ بَدَأَ يُبَشِّرُ فِي الْمَجَامِعِ بِأَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ) [أعمال ٩/ ٢٠].

ويتبين لك أيضا من هذه العبارة أن المسيحيين الأوائل إنما كانوا يتعبدون في معابد اليهود (الكنيس)، ولم تنشأ الكنائس كمؤسسة إلا مع ابتعاد المسيحية عن التعاليم الأصلية للمسيح، وتم استبعاد بولس وبرنابا والأمميين من المعابد بعد اتهامهم بالشرك والتجديف، وانظر ما جاء في سفر أعمال الرسل (١٣/ ٥٠ و ١٧/ ١٨ و ٢١/ ٢٨):

(وَلَكِنَّ الْيَهُودَ حَرَّضُوا النِّسَاءَ النَّبِيلاَتِ وَالْمُتَعَبِّدَاتِ وَوُجَهَاءَ الْمَدِينَةِ، وَأَثَارُوا الاضْطِهَادَ عَلَى بُولُسَ وَبَرْنَابَا، حَتَّى طَرَدُوهُمَا مِنْ بَلَدِهِمْ) [أعمال ١٣/ ٥٠].

و : (وَجَرَتْ مُنَاقَشَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَعْضِ الْفَلاَسِفَةِ الأَبِيقُورِيِّينَ وَالرِّوَاقِيِّينَ. وَلَمَّا وَجَدُوا أَنَّهُ يُبَشِّرُ بِيَسُوعَ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الْمَوْتِ قَالَ بَعْضُهُمْ: «مَاذَا يَعْنِي هَذَا الْمُدَّعِي الأَحْمَقُ بِكَلاَمِهِ؟» وَقَالَ آخَرُونَ: «يَبْدُو أَنَّهُ يُنَادِي بِآلِهَةٍ غَرِيبَةٍ») [أعمال ١٧/ ١٨].

و : (وَهُمْ يَصْرُخُونَ: «النَّجْدَةَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ! هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَدْعُو النَّاسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ إِلَى عَقِيدَةٍ تُشَكِّلُ خَطَراً عَلَى شَعْبِنَا وَشَرِيعَتِنَا وَعَلَى هَذَا الْمَكَانِ، حَتَّى إِنَّهُ أَدْخَلَ الْيُونَانِيِّينَ إِلَى الْهَيْكَلِ وَدَنَّسَ هَذَا الْمَكَانَ الْمُقَدَّسَ) [أعمال ٢١/ ٢٨].

وترتب علي هذه المقولة - التي أحدثها بولس - أن تغير وصف طبيعة المسيح في موضعين بإنجيل لوقا:

١ - (فَقَدْ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ) [لوقا ١١/ ٢].

٢ - وفي مقدمة إنجيل يوحنا:

(فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ. وَكَانَ الْكَلِمَةُ هُوَ اللهُ) [يوحنا ١/ ١].

٦- هل صلب المسيح ثم قام؟

عبد الله : ينفي القرآن الكريم نفيا قاطعا قتل المسيح أو صلبه ، كما جاء في سورة النساء: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء: ١٥٧] .

فما رأيك في هذا النفي المؤكد ؟

عبد المسيح : أؤمن بأنه مات على الصليب ثم قام من قبره.

عبد الله : من المعروف أن كائنا من كان لم يشهد لحظة قيام مصلوب من قبره. كل ما في الأمر أن القبر، الذي ظنوه يضم جسد المسيح، وجدوه خاليا فاستنتجوا أنه قام بعد صلبه، خاصة وأنهم التقوا به حيا بعد حادث الصلب المزعوم، فليس هناك أي دليل على أنه صُلِبَ أو أنه مات وقام، وهذا ما يؤكده القرآن ؟

عبد المسيح : ولكن كيف تثبت أنه لم يُصْلَبْ ولم يَقُمْ ؟

عبد الله : سأثبت لك ذلك من نصوص الكتاب المقدس ذاته، ولكني أطرح عليك سؤالا هاما قبل أن نستعرض النصوص. أيهما تصدق: ما قاله المسيح صراحة أم ما رواه عنه غيره من الحواريين أو الأتباع أو كُتَّاب الأناجيل؟

عبد المسيح : أقوال المسيح أوّلاً وقبل كل شيء.

عبد الله : حسنا ما قلت، فذلك ما عبر عنه المسيح حين قال:

(لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَرْفَعَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَلاَ الْعَبْدُ أَرْفَعَ مِنْ سَيِّدِهِ) [متى ١٠/ ٢٤].

عبد المسيح : ولكن المسيح قد أعلن أنه سيقوم من بين الأموات:

(وَقَالَ لَهُمْ: هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ) [لوقا ٢٤/ ٤٦].

عبد الله : إنه من المألوف في الكتاب المقدس وترجماته أن يعبر عن "العذاب" بالموت،

ومثال على ذلك ما قاله بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس:

(فَبِحَسَبِ افْتِخَارِي بِكُمْ فِي المسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا، أَشْهَدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنِّي أَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ) [كورنثوس الأولى ١٥/ ٣١].

وإليك الآن أدلة ساطعة – طبقا لنصوص الأناجيل – تناقض وتدحض تماما صلب المسيح أو قيامته فتأمل :

١ – ما قيل عن تضرعه على الصليب إلى الله طالبا العون طبقا لإنجيل متى (٢٧/ ٤٦) :

(وَنَحْوَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «إِيلِي، إِيلِي، لَمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟) [متى ٢٧/ ٤٦].

وأيضا في لوقا (٢٢/ ٤٢) :

(ابْتَعَدَ عَنْهُمْ مَسَافَةً تُقَارِبُ رَمْيَةَ حَجَرٍ، وَرَكَعَ يُصَلِّي قَائِلاً: «يَاأَبِي، إِنْ شِئْتَ أَبْعِدْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ، لِتَكُنْ لاَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَتُكَ») [لوقا ٢٢/ ٤٢]، والكأس هنا هي كأس الموت.

٢ – استجابة الله لدعاء المسيح أن لا يموت على الصليب، طبقا لما جاء في إنجيل لوقا وغيره، فكيف يقال بعد ذلك أنه صلب ومات على الصليب، وهاهي النصوص :

(وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُشَدِّدُهُ) [لوقا ٢٢/ ٤٣] ، أي أن الملاك – طبقا لرواية لوقا هذه – قد طيب خاطره وطمأنه أن الله لن يخذله.

و : (وَالمسِيحُ، فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى الأَرْضِ، رَفَعَ أَدْعِيَةً وَتَضَرُّعَاتٍ مُقْتَرِنَةً بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ، إِلَى الْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ. وَقَدْ لَبَّى اللهُ طَلَبَهُ إِكْرَاماً لِتَقْوَاهُ) [العبرانيين ٥/ ٧]، ومعنى تلبية طلبه أن الله قد استجاب له عمليا.

و : (لِيَعْتَرِفْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لأَخِيهِ بِزَلاَّتِهِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ، حَتَّى تُشْفَوْا. إِنَّ الصَّلاَةَ الْحَارَّةَ الَّتِي يَرْفَعُهَا الْبَارُّ لَهَا فَعَّالِيَّةٌ عَظِيمَةٌ) [جيمس ٥/ ١٦].

ولقد أكد المسيح بنفسه مبدأ استجابة الله لكل دعائه :

(اِسْأَلُوا، تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا، تَجِدُوا. اِقْرَعُوا، يُفْتَحْ لَكُمْ. فَكُلُّ مَنْ يَسْأَلْ، يَنَلْ؛ وَمَنْ يَطْلُبْ، يَجِدْ؛ وَمَنْ يَقْرَعْ، يُفْتَحْ لَهُ. وَإِلاَّ، فَأَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَطْلُبُ مِنْهُ ابْنُهُ خُبْزاً، فَيُعْطِيهِ حَجَراً، أَوْ سَمَكَةً، فَيُعْطِيهِ حَيَّةً؟) [متى٧/ ٧-١٠].

فإذا كان كل دعاء المسيح مستجابا من الله تعالى بما فيه إنقاذه من الموت على الصليب فلابد أنه قد نجا من ذلك المصير.

٣ - طبقا لرواية يوحنا (١٩/ ٣٢-٣٣) فقد امتنع الجنود الرومان عن كسر رجل المصلوب (يسوع في الرواية!):

(فَجَاءَ الْجُنُودُ وَكَسَرُوا سَاقَيْ كِلاَ الرَّجُلَيْنِ الْمَصْلُوبَيْنِ مَعَ يَسُوعَ. أَمَّا يَسُوعُ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ وَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ، فَلَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ) [يوحنا ١٩/ ٣٢-٣٣].

٤ - إن كان يسوع (المصلوب على حد قول الرواية!) قد صلب فعلا ومات حقا على الصليب لَتَجَلَّطَ دَمُه وما تدفق عند طعنه برمح أو نحوه، ولكن الإنجيل يؤكد تدفق الماء والدم من الجسد كما روى يوحنا:

(وَإِنَّمَا طَعَنَهُ أَحَدُ الْجُنُودِ بِحَرْبَةٍ فِي جَنْبِهِ، فَخَرَجَ فِي الْحَالِ دَمٌ وَمَاءٌ) [يوحنا ١٩/ ٣٤].

٥ - عندما طلب الفريسيون من يسوع برهانا على صدق رسالته أجاب كما يلي:

(فَكَمَا بَقِيَ يُونَانُ فِي جَوْفِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هَكَذَا سَيَبْقَى ابْنُ الإِنْسَانِ فِي جَوْفِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ) [متى ١٢/ ٤٠].

وبغَضِّ النظر مؤقتا عن الاختلاف التام بين ما جرى ليونان (يونس) وبين رواية الأناجيل لقصة الصلب والقيامة من ناحية المدة (لم يبق المسيح - طبقا لتلك القصة - في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاثة ليال بل كان الأمر كله - طبقا للرواية - يوما هو السبت، وليلتان هما ليلة السبت وليلة الأحد). بغَضِّ النظر عن ذلك فالسؤال الأهم هو: هل ظل يونس حَياً في بطن الحوت؟

عبد المسيح : نعم، ظل حَيًّا.

عبد الله : وهل كان حَيًّا عندما لفظه الحوت من بطنه؟

عبد المسيح : نعم، مازال حَياً حينئذ.

عبد الله : إذن فطبقا لنبوءة المسيح (في : متي ١٢/ ٤٠) فإنه لم يمت وإنما كان حَياً طوال فترة اختفائه ثم ظهوره للحواريين.

وإليك الآن باقي الأدلة:

٦ - لقد صرح المسيح بنفسه – طبقا لنصوص الأناجيل- أنه لم يمت على الصليب، وأذكرك برواية يوحنا عندما توجهت مريم المجدلية في الصباح الباكر إلى القبر فوجدته خاليا ووجدت شخصا يبدو عليه أنه بستاني؛ تبين لها من حديثه أنه المسيح، ولما حاولت أن تلمسه لتتأكد أنه هو جسد حي وليس شبحا قال لها: (قَالَ لَهَا: «لاَ تُمْسِكِي بِي! فَإِنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى الآبِ، بَلِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي سَأَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ، وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ) [يوحنا ٢٠/ ١٧].

فقوله : "لم أصعد بعد إلى الآب" دلالة على أنه لم يزل حيا ولم يمت بعد ليعود إلى بارئه.

وهذه الرواية وحدها من أقوى الأدلة على نفي قصة الصلب والقيامة بِرُمَّتِها، لأنها نسبت إلى لسان المسيح ذاته.

٧ - بعد واقعة الصلب المزعوم انزعج الحواريون عند رؤيتهم المسيح وظنوا أن ما يرون هو شبح، لأن الأموات يتحولون إلى أرواح، وإذا قاموا لم يعودوا جسما مادياً كأجسامنا.

عبد المسيح : مهلا، من قال لك أن الأموات لا يقومون بصورتهم الأولى ؟

عبد الله : إني أحيلك إلى ما ذكره المسيح بنفسه في الإنجيل من أن الموتى يقومون كمثل الملائكة.

عبد المسيح : في أي إنجيل جاء ذلك ؟

عبد الله : انظر إنجيل لوقا (٢٠/ ٣٤-٣٦) :

(فَرَدَّ عَلَيْهِمْ يَسُوعُ قَائِلاً: أَبْنَاءُ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ يُزَوِّجُونَ وَيُزَوَّجُونَ. أَمَّا الَّذِينَ حُسِبُوا

أَهْلاً لِلْمُشَارَكَةِ فِي الزَّمَانِ الآتِي وَالْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ، فَلاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ. إِذْ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضاً بَعْدَ ذَلِكَ، لأَنَّهُمْ يَكُونُونَ مِثْلَ الْمَلاَئِكَةِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ لِكَوْنِهِمْ أَبْنَاءَ الْقِيَامَةِ) [لوقا ٢٠/ ٣٤-٣٦].

نعود إلى الحواريين عندما التقوا بالمسيح واندهشوا، فأحَبَّ أن يقنعهم أنه ما زال حياً كما كان، فطلب منهم أن يلمسوا يديه وقدميه، ولم يكتف بذلك بل طلب لحما وعسلا ليأكل أمامهم كأي إنسان حي، كما جاء في رواية لوقا :

(وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ بِذَلِكَ، وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسَطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلاَمٌ لَكُمْ!» وَلكِنَّهُمْ، لِذُعْرِهِمْ وَخَوْفِهِمْ، تَوَهَّمُوا أَنَّهُمْ يَرَوْنَ شَبَحاً. فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ؟ وَلِمَاذَا تَنْبَعِثُ الشُّكُوكُ فِي قُلُوبِكُمْ؟ انْظُرُوا يَدَيَّ وَقَدَمَيَّ، فَأَنَا هُوَ بِنَفْسِي. الْمُسُونِي وَتَحَقَّقُوا، فَإِنَّ الشَّبَحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي». وَإِذْ قَالَ ذَلِكَ، أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ. وَإِذْ مَازَالُوا غَيْرَ مُصَدِّقِينَ مِنَ الْفَرَحِ وَمُتَعَجِّبِينَ، قَالَ لَهُمْ: «أَعِنْدَكُمْ هُنَا مَا يُؤْكَلُ؟» فَنَاوَلُوهُ قِطْعَةَ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ. فَأَخَذَهَا أَمَامَهُمْ وَأَكَلَ) [لوقا ٢٤/ ٣٦-٤١].

٨ - إن القول بأن المسيح قد مات على الصليب طبقا لنصوص أخرى من الكتاب المقدس فيه إساءة بالغة إلى شخص المسيح ومقام نبوته، كما جاء في سفر التثنية :

(أَمَّا ذَلِكَ النَّبِيُّ أَوِ الْحَالِمُ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، لأَنَّهُ نَطَقَ بِالْبُهْتَانِ ضِدَّ الرَّبِّ إِلَهِكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَفَدَاكُمْ مِنْ نِيرِ الْعُبُودِيَّةِ، لِيُضِلَّكُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِسُلُوكِهَا، فَتَسْتَأْصِلُونَ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكُمْ) [تثنية ١٣/ ٥].

وكذلك : (إِنِ ارْتَكَبَ إِنْسَانٌ جَرِيمَةً عِقَابُهَا الإِعْدَامُ، وَنُفِّذَ فِيهِ الْقَضَاءُ وَعَلَّقْتُمُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ، فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلِ ادْفِنُوهُ فِي نَفْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ. فَلاَ تُنَجِّسُوا أَرْضَكُمُ الَّتِي يَهَبُهَا لَكُمُ الرَّبُّ مِيرَاثاً) [تثنية ٢١/ ٢٢-٢٣].

فالاعتقاد بموت المسيح مصلوبا هو إنكار لنبوته، وهو مادفع اليهود إلى نشر فرية قتلهم للمسيح مصلوبا ليشككوا في صدق نبوته، بينما يتمسك المسيحيون بدعوى الصلب لأنها في اعتقادهم ضرورة لفدائهم من الخطيئة الأولى، وهو ما يؤدي ضمنا إلى وصم المسيح بالإساءات التي ذكرتها آنفا.

وهذا الاعتقاد أيضا يتعارض مع التعاليم التي جاءت في يوشع (٦/ ٦) :

(إِنِّي أَطْلُبُ رَحْمَةً لا ذَبِيحَة) [يوشع ٦/ ٦].

بل إنها تتعارض مع تعاليم المسيح نفسه في إنجيل متى :

(اِذْهَبُوا وَتَعَلَّمُوا مَعْنَى الْقَوْلِ: إِنِّي أَطْلُبُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً. فَإِنِّي مَا جِئْتُ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خَاطِئِينَ!) [متى ٩/ ١٣].

وجاء أيضا في إنجيل متى: (وَلَوْ فَهِمْتُمْ مَعْنَى الْقَوْلِ: إِنِّي أَطْلُبُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، لَمَا حَكَمْتُمْ عَلَى مَنْ لاَ ذَنْبَ عَلَيْهِمْ) [متى ١٢/ ٧].

عبد المسيح : من أين إذن جاءت عقيدة الصلب والقيامة ؟

عبد الله : إن أول من دعا إليها هو بولس، كما جاء في أعمال الرسل:

(وَجَرَتْ مُنَاقَشَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَعْضِ الْفَلاَسِفَةِ الأَبِيقُورِيِّينَ وَالرِّوَاقِيِّينَ. وَلَمَّا وَجَدُوا أَنَّهُ يُبَشِّرُ بِيَسُوعَ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الْمَوْتِ قَالَ بَعْضُهُمْ: «مَاذَا يَعْنِي هَذَا الْمُدَّعِي الأَحْمَقُ بِكَلاَمِهِ؟» وَقَالَ آخَرُونَ: «يَبْدُو أَنَّهُ يُنَادِي بِآلِهَةٍ غَرِيبَةٍ») [أعمال ١٧/ ١٨].

بل إن بولس (الذي لم ير المسيح البتة) قد أقر أنه هو الذي تبنى دعوى القيامة:

(اذْكُرْ يَسُوعَ المسِيحَ الَّذِي أُقِيمَ مِنَ الْمَوْتِ، وَهُوَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، كَمَا أُعْلِنُهُ فِي إِنْجِيلِي) [تيموثاوس الثانية ٢/ ٨].

كما أنه أيضا أول من أطلق دعوى أن المسيح ابن الله:

(وَفِي الْحَالِ بَدَأَ يُبَشِّرُ فِي الْمَجَامِعِ بِأَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ الله) [أعمال ٩/ ٢٠].

وهنا يتأكد من جديد أن كثيرا من مفاهيم المسيحية لم يأت بها المسيح؛ وإنما هي من وضع بولس وغيره.

عبد المسيح : ولكن مرقس أيضا قد ذكر في إنجيله (١٦/ ١٩) أن يسوع قد قام وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب:

(ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ، بَعْدَمَا كَلَّمَهُمْ، رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ الله) [مرقس ١٦/ ١٩].

عبد الله : لقد عرفنا من قبل أن الآيات (٩-٢٠) من مرقس ١٦ قد تم استبعادها من كثير من طبعات الكتاب المقدس، وأضيفت تعليقات وملاحظات تشكك في قبولها. وعلى كل حال إذا كنت ما زلت تظن أن رفع المسيح إلى جوار ربه يضفي عليه صفة الألوهية فلم لا نعد غيره من الأنبياء آلهة لنفس السبب، كما جاء في الكتاب المقدس.

عبد المسيح : أي أنبياء تعني؟

عبد الله : منهم إيلِيَّا:

(وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَجَاذَبَانِ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ، فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ تَجُرُّهَا خُيُولٌ نَارِيَّةٌ، نَقَلَتْ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ. وَرَأَى أَلِيشَعُ مَا جَرَى فَأَخَذَ يَهْتِفُ: «يَاأَبِي، يَاأَبِي، يَامَرْكَبَاتِ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا». وَغَابَ إِيلِيَّا عَنْ عَيْنَيْهِ، فَأَمْسَكَ ثِيَابَهُ وَمَزَّقَهَا قِطْعَتَيْنِ) [الملوك الثاني ٢/ ١١-١٢].

وكذلك أخنوخ :

(وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، ثُمَّ تَوَارَى مِنَ الْوُجُودِ، لأَنَّ اللهَ نَقَلَهُ إِلَيْهِ) [تكوين ٥/ ٢٤].

وهوالذي تكرر ذكره أيضا في هذه العبارة: (.وَبِالإِيمَانِ، انْتَقَلَ أَخْنُوخُ إِلَى حَضْرَةِ اللهِ دُونَ أَنْ يَمُوتَ. وَقَدِ اخْتَفَى مِنْ عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ إِلَيْهِ. وَقَبْلَ حُدُوثِ ذلِكَ، شُهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَرْضَى اللهَ) [العبرانيين ١١/ ٥].

٧- دعوى الخطيئة الأولى والفداء

عبد المسيح : أفهم من كلامك أن دعوى الفداء لم يبشر بها يسوع ؟

عبد الله : فعلا ، فإن هذه الدعوى لم تصبح من أركان العقيدة المسيحية إلا بعد ثلاثة أو أربعة قرون من رحيل المسيح، وهي تتناقض مع ما جاء في الكتاب المقدس، كما في النصوص الآتية:

(لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عِوَضاً عَنِ الأَبْنَاءِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَبْنَاءُ بَدَلاً مِنَ الآبَاءِ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَتَحَمَّلُ وِزْرَ نَفْسِهِ) [تثنية ٢٤/ ١٦].

و : (بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِإِثْمِهِ، وَمَنْ يَأْكُلُ حِصْرِماً تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ) [إرمياء٣١/ ٣٠].

و : (أَمَّا النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِىءُ فَهِيَ تَمُوتُ. لاَ يُعَاقَبُ الابْنُ بِإِثْمِ أَبِيهِ وَلاَ الأَبُ بِإِثْمِ ابْنِهِ. يُكَافَأُ الْبَارُّ بِبِرِّهِ وَيُجَازَى الشِّرِّيرُ بِشَرِّهِ) [حزقيال ١٨/ ٢٠].

فها هو الكتاب المقدس يؤكد أن الخطيئة الأولى هي مسئولية آدم وحواء وحدهما، ولا تمتد لأبنائهما من بعد.

عبد المسيح : ذلك ما يبدو من العهد القديم، فماذا عن العهد الجديد؟

عبد الله : اقرأ ما قرره إنجيل متى على لسان المسيح في (متى ٧/ ١-٢).

عبد المسيح : (لاَ تَدِينُوا لِئَلاَّ تُدَانُوا. فَإِنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ؛ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُ) [متى ٧/ ١-٢].

عبد الله : واقرأ أيضا ما جاء في رسالة كورنثوس الأولى (٣/ ٨).

عبد المسيح : (فَالْغَارِسُ وَالسَّاقِي سَوَاءٌ. إِلاَّ أَنَّ كُلاًّ مِنْهُمَا سَيَنَالُ أُجْرَتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَعَبِهِ) [كورنثوس الأولى ٣/ ٨].

عبد الله : إذا أردت مزيدا من الأدلة على أن كل مولود يولد بلا خطيئة فاقرأ (متى ١٩/ ١٤).

عبد المسيح : (وَلَكِنَّ يَسُوعَ قَالَ: «دَعُوا الصِّغَارَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ») [متى ١١/ ١٤].

عبد الله : إذن فكل إنسان يجيء إلى الدنيا بلا خطيئة، والكل ينتمي إلى ملكوت السماوات، هذا هو الحق الذي جاء به موسى وأكده المسيح من بعده، حتى جاء بولس ليبدل شريعة موسى، كما يتضح لك من قراءة أعمال الرسل (١٣/ ٣٩).

عبد المسيح : (وَأَنَّهُ بِهِ يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا عَجَزَتْ شَرِيعَةُ مُوسَى أَنْ تُبَرِّرَهُ مِنْهُ) [أعمال ١٣/ ٣٩].

عبد الله : ودعني الآن أسألك: كيف تصدق دعوى الفداء؛ التي اعترف بولس بنفسه أنه هو صاحبها ومنشئها؟

عبد المسيح : أين قال ذلك؟

عبد الله : اقرأ (تيموثاوس الثانية ٢/ ٨).

عبد المسيح : (اذْكُرْ يَسُوعَ المَسِيحَ الَّذِي أُقِيمَ مِنَ المَوْتِ، وَهُوَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، كَمَا أُعْلِنُهُ فِي إِنْجِيلِي) [تيموثاوس الثانية ٢/ ٨] ، ولكني أتساءل من أين إذن جاءت عقيدة الصلب والقيامة والفداء؟

عبد الله : من أين لي أن أعرف؟ لقد تعلمت من الإسلام أن لا أصدق شيئا لا يقبله العقل السليم، ولم يجئ على لسان أحد من أنبياء الله؛ فيما بلغنا منهم بالنقل الأمين دون تبديل ولا تحريف.

عبد المسيح : أصارحك القول أن هذا هو عين ما أبحث عنه، وقد تيقنت الآن أن القراءة الواعية للكتاب المقدس قد هدتني في نهاية المطاف إلى الحقيقة الكبرى التي جاء بها كل الأنبياء: أن الله واحد؛ لم يلد ولم يولد، وأنه أرسل أنبياءه من البشر لهدايتنا بدءا من آدم إلى المسيح الذي هو بَشَرٌ وُلِدَ بقدرة الله بغير أب؛ كما خُلِقَ آدم من غير أب ولا أم، وأنه لم يقم من قبره لأنه لم يُصْلَبْ أصلا ؛ فقد نجاه الله من كيد اليهود وأيدي الرومان، وأن كل إنسان يولد بلا خطيئة حتى يرتكب الخطيئة إن غواه الشيطان.

ولكن لدي سؤال أخير: كيف أهتدي من الكتاب المقدس أن النبيَّ محمداً رسولُ الإسلام آتٍ بعد المسيح لتختم به رسالات السماء؟

عبد الله : لا شك أنك قد قرأت الكتاب المقدس مرارا، ولعلك تعاود البحث والتأمل، حتى يكون ذلك محور لقائنا القادم بإذن الله.



٨- محمد رسول الله في الكتاب المقدس

عبد الله : ماذا يقول الكتاب المقدس عن الدافع لإبعاد إسماعيل وأمه هاجر عن سارة ؟

عبد المسيح : عندما شب الرضيع إسحاق، ابن إبراهيم من سارة، وتم فطامه. وكان أخوه الأكبر إسماعيل ابن إبراهيم من هاجَر يمزح معه ويسخر منه، غضبت سارة وأرادت إبعاد إسماعيل حتى لا يرث مع ابنها إسحاق، وذلك ما نص عليه سفر التكوين :

(وَكَبُرَ إِسْحقُ وَفُطِمَ. فَأَقَامَ إبراهيم فِي يَوْمِ فِطَامِهِ مَأْدُبَةً عَظِيمَةً. وَرَأَتْ سَارَةُ أَنَّ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لإبراهيم يَسْخَرُ مِنِ ابْنِهَا إِسْحق، فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، فَإِنَّ ابْنَ الْجَارِيَةِ لَنْ يَرِثَ مَعَ ابْنِي إِسْحقَ») [تكوين ٢١/ ٨-١٠].

عبد الله : دعني أوضح لك بعض ما قد غاب عنك في هذه الرواية: إذا كان إسحق قد تم فطامه وهو ابن سنتين فيكون عمر إسماعيل حينئذ ستة عشر عاما، لأن أمه هاجر قد حملت به عندما كان أبوه إبراهيم في السادسة والثمانين من عمره، بينما ولد له إسحاق وهو في سن المائة عام بنص سفر التكوين (١٦/ ١٦ و ٢١/ ٥) :

(وَكَانَ أَبْرَامُ فِي السَّادِسَةِ وَالثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا وَلَدَتْ لَهُ هَاجَرُ إسماعيل) [تكوين ١٦/١٦].

و: (وَكَانَ إبراهيم قَدْ بَلَغَ الْمِئَةَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا وُلِدَ لَهُ إِسْحقُ) [تكوين ٢١/ ٥].

وبذلك يكون ما جاء في سفر التكوين (٢١/ ٨-١٠) بخصوص قصة إبعاد إسماعيل وأمه يتناقض تماما مع ما جاء بعد ذلك في عبارة أخرى بنفس السفر (تكوين ٢١/ ١٤-٢١)، والتي تصور إسماعيل حين إبعاده عن سارة، طفلا صغيرا لا فتى يافعا:

(فَنَهَضَ إبراهيم فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَأَخَذَ خُبْزاً وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَدَفَعَهُمَا إِلَى هَاجَرَ، وَوَضَعَهُمَا عَلَى كَتِفَيْهَا، ثُمَّ صَرَفَهَا مَعَ الصَّبِيِّ. فَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ. وَعِنْدَمَا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ الصَّبِيَّ تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ، وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ، عَلَى بُعْدِ نَحْوِ مِئَةِ مِتْرٍ، لأَنَّهَا قَالَتْ: «لاَ أَشْهَدُ مَوْتَ الصَّبِيِّ». فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ. وَسَمِعَ اللهُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا الَّذِي يُزْعِجُكِ يَاهَاجَرُ؟

لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُلْقًى. قُومِي وَاحْمِلِي الصَّبِيَّ، وَتَشَبَّثِي بِهِ لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً». ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ وَسَقَتِ الصَّبِيَّ. وَكَانَ اللهُ مَعَ الصَّبِيِّ فَكَبُرَ، وَسَكَنَ فِي صَحْرَ اءِ فَارَانَ، وَبَرَعَ فِي رَمْيِ الْقَوْسِ. وَاتَّخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ مِصْرَ) [تكوين ٢١/ ١٤-٢١].

والصحيح إذن أنهما رحلا عن سارة قبل سنوات من مولد إسحق، وقد أشار القرآن الكريم إلى رحيل إبراهيم بابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى "واد غير ذي زرع" هو نفسه "برية فاران" التي جاء ذكرها في سفر التكوين (٢١/ ٢١) :

(وسكن في صحراء فاران) [تكوين ٢١/ ٢١].

وكان ذلك بناء على أمر إلهي إلى إبراهيم عليه السلام ، لحكمة يدخرها الله لعباده المؤمنين. وغادر إبراهيم مكة تاركا هاجر وابنها الرضيع لعناية الله، وطفقت هاجر تبحث عن الماء بين جبلين - الصفا والمروة - فجعلت تهرول بينهما. وبعد سبعة أشواط انبثق لها نبع زمزم، وأصبح السعي بين الصفا والمروة شعيرة إسلامية من شعائر الحج الذي يجتمع إليه الآن ملايين المسلمين، ومازال النبع (بئر زمزم)، المذكور في سفر التكوين (٢١/ ١٩)، قائما يرتوي منه الحجاج حتى اليوم :

(ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ وَسَقَتِ الصَّبِيَّ)[تكوين ٢١/ ١٩].

وبعد ذلك بسنوات قام إبراهيم وإسماعيل سوياً ببناء الكعبة بيت الله الحرام بمكة المكرمة، ومازال موضع صلاة إبراهيم قبالة الكعبة قائما (مقام إبراهيم)، ومن خلال شعائر الحج يحيي المسلمون من كل أنحاء العالم ذكرى تضحية إبراهيم بابنه إسماعيل وفداء الله له بكبش الفداء.

عبد المسيح : مهلا، لقد كان الفداء طبقا للكتاب المقدس لإسحق لا لإسماعيل.

عبد الله : بل الصواب إذا قرأت سفر التكوين جيدا يطابق ما أكده القرآن أن الفداء والعهد كانا لإبراهيم، ففي (تكوين ١٧/ ٢٤-٢٧) :

(وَكَانَ إبراهيم فِي التَّاسِعَةِ وَالتِّسْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ، أَمَّا إسماعيل ابْنُهُ فَقَدْ كَانَ ابْنَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ. وَهَكَذَا خُتِنَ إبراهيم وَإسماعيل ابْنُهُ فِي الْيَوْمِ نَفْسِهِ. وَكَذَلِكَ خُتِنَ مَعَهُ كُلُّ رِجَالِ بَيْتِهِ الْمَوْلُودِينَ فِيهِ وَالْمُبْتَاعِينَ بِمَالٍ مِنَ الْغَرِيبِ) [تكوين ١٧/ ٢٤-٢٧].

وبعد ذلك ولد إسحق وختن في اليوم الثامن من ولادته:

(وَخَتَنَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ بِمُوجِبِ أَمْرِ اللهِ. وَكَانَ إبراهيم قَدْ بَلَغَ الْمِئَةَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا وُلِدَ لَهُ إِسْحقُ) [تكوين ٢١/ ٤-٥].

لذا فإنه عندما نزل العهد من الله (بالختان والفداء) كان إبراهيم في التاسعة والتسعين من عمره، وكان إسماعيل ابن ثلاثة عشر عاما، بينما لم يكن إسحق قد ولد بعد.

وقد التزم المسلمون ابتداء من محمد صلى الله عليه وسلم حفيد إسماعيل إلى يومنا هذا بعهد الختان (للذكور)، والصلاة علي إبراهيم وآل إبراهيم في كل صلاة من الصلوات الخمس اليومية مقترنة بالصلاة علي محمد وآل محمد.

عبد المسيح : ولكن سفر التكوين في إصحاحه ٢٢ ينص على أن الذبيح كان إسحق ؟

عبد الله : أعرف ذلك، وهو تحريف متعمد لأنه يتناقض مع ما جاء في النصوص الأخرى من سفر التكوين التي قرأناها آنفا. ففي (تكوين ٢٢/ ٢ و ١٢/ ١٦) :

(فَقَالَ لَهُ: خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، إِسْحقَ الَّذِي تُحِبُّهُ... عَلِمْتُ أَنَّكَ تَخَافُ اللهَ وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي...يَقُولُ الرَّبُّ: لأَنَّكَ صَنَعْتَ هَذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي) [تكوين ٢٢/ ٢ و ١٢/ ١٦].

فعبارة : "ابنك وحيدك إسحاق" صوابها أن تكتب "ابنك وحيدك إسماعيل"، لسبب بسيط هو أن إسماعيل وقتها كان في الثالثة عشرة من عمره بينما لم يكن إسحاق قد ولد أصلا؛ كما استنبطنا من سفر التكوين ذاته. وأعجب من ذلك أنه عندما ولد إسحاق (الأخ الأصغر لإسماعيل) أصبح لإبراهيم ابنان؛ فلا يعقل أن يقال عنه "الابن الوحيد" !! ولكن التعصب المقيت لكتاب العهد القديم من بني إسرائيل دفعهم لمحو اسم إسماعيل من كل مواضعه في

الإصحاح ٢٢ وإبداله بإسحاق، ولكن الله أغفلهم عن حذف كلمة "الوحيد" ليكشف تحريفهم.

ويثبت لك تحريفهم المتعمد للإصحاح ٢٢ أيضا عبارة (تكوين ١٧/ ٢٢) :

(لأُبَارِكَنَّكَ وَأُكَثِّرَنَّ ذُرِّيَّتَكَ فَتَكُونُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَرَمْلِ شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَتَرِثُ ذُرِّيَّتُكَ مُدُنَ أَعْدَائِهَا) [تكوين ٢٢/ ١٧]، التي تشير إلى إسحق، والتي تكررت بنصها في إصحاح سابق (تكوين ١٦/ ١٠) :

(لأُبَارِكَنَّكَ وَأُكَثِّرَنَّ ذُرِّيَّتَكَ فَتَكُونُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَرَمْلِ شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَتَرِثُ ذُرِّيَّتُكَ مُدُنَ أَعْدَائِهَا) [تكوين ١٦/ ١٠]، ولكن المشار إليه هنالك كان "إسماعيل" لا "إسحاق".

والذي يؤكد أيضا أن الإصحاح ٢٢ كان المستهدف بالتحريف، أنه عندما تكرر ذكر عبارة مماثلة وهي "سأباركه حقا وأجعله مثمرا وأكثر ذريته جداً"، كان المشار إليه هو إسماعيل لا إسحاق:

(أَمَّا إسماعيل، فَقَدِ اسْتَجَبْتُ لِطِلْبَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ. سَأُبَارِكُهُ حَقّاً، وَأَجْعَلُهُ مُثْمِراً، وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَهُ جِدّاً فَيَكُونُ أَباً لاثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً، وَيُصْبِحُ أُمَّةً كَبِيرَةً) [تكوين ١٧/ ٢٠].

وكذلك في عبارة "سأجعله أمة عظيمة"، في (تكوين ٢١/ ١٨):
(قُومِي وَاحْمِلِي الصَّبِيَّ، وَتَشَبَّثِي بِهِ لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً) [تكوين ١٨/ ٢١]، كان المشار إليه واحدا هو "إسماعيل".

كما تؤكده أيضا عبارة: (وَسَأُقِيمُ مِنِ ابْنِ الْجَارِيَةِ أُمَّةً أَيْضاً لأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ) [تكوين ٢١/ ١٣].

عبد المسيح : ولكن اليهود والمسيحيين يعتبرون إسحاق أعلى مكانة من إسماعيل.

عبد الله : هذا ما يقولون، ولكن الكتاب المقدس يخالف ذلك، ففي سفر التكوين (١٥/ ٤):

(فَأَجَابَهُ الرَّبُّ: «لَنْ يَكُونَ هَذَا لَكَ وَرِيثاً، بَلِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِكَ يَكُونُ وَرِيثَكَ) [تكوين ١٥/ ٤].

أي أن إسماعيل أيضا يرث إبراهيم، وكذلك ما جاء أيضا في النصوص التالية:

(وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «لأُكَثِّرَنَّ نَسْلَكِ فَلاَ يَعُودُ يُحْصَى») [تكوين ١٦/ ١٠].

و : (أَمَّا إسماعيل، فَقَدِ اسْتَجَبْتُ لِطِلْبَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ. سَأُبَارِكُهُ حَقّاً، وَأَجْعَلُهُ مُثْمِراً، وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَهُ جِدّاً فَيَكُونُ أَباً لاثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً، وَيُصْبِحُ أُمَّةً كَبِيرَةً) [تكوين١٧/ ٢٠].

و : (وَسَأُقِيمُ مِنِ ابْنِ الْجَارِيَةِ أُمَّةً أَيْضاً لأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ) [تكوين ٢١/ ١٣].

(قُومِي وَاحْمِلِي الصَّبِيَّ، وَتَشَبَّثِي بِهِ لأَنَّنِي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً) [تكوين ٢١/ ١٨].

و : (إِنْ كَانَ رَجُلٌ مُتَزَوِّجاً مِنِ امْرَأَتَيْنِ، يُؤْثِرُ إِحْدَاهُمَا وَيَنْفُرُ مِنَ الأُخْرَى، فَوَلَدَتْ كِلْتَاهُمَا لَهُ أَبْنَاءً، وَكَانَ الابْنُ الْبِكْرُ مِنْ إِنْجَابِ المكْرُوهَةِ. فَحِينَ يُوَزِّعُ مِيرَاثَهُ عَلَى أَبْنَائِهِ، لاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ الزَّوْجَةِ الأَثِيرَةِ لِيَجْعَلَهُ بِكْرَهُ فِي الْمِيرَاثِ عَلَى بِكْرِهِ ابْنِ الزَّوْجَةِ المكْرُوهَةِ. بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِبَكُورِيَّةِ ابْنِ المكْرُوهَةِ، وَيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يَمْلِكُهُ، لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ مَظْهَرِ قُدْرَتِهِ، وَلَهُ حَقُّ الْبَكُورِيَّةِ) [تثنية ٢١/ ١٥-١٧].

والإسلام لا ينكر نعمة الله على إسحق وذريته، ولكن الابن الموعود كان إسماعيل، ليخرج من ذريته فيما بعد خاتم المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام.

عبد المسيح : ولكن اليهود والمسيحيين يعتبرون إسماعيل ابنا غير شرعي؟

عبد الله : هذا أيضا ما يرجفون وليس ما يقوله الكتاب المقدس. بالله عليك كيف يكون زواج أبي الأنبياء؛ وابنه من هذا الزواج؛ غير شرعي، ففي سفر التكوين (١٦/ ٣):

(وَهَكَذَا بَعْدَ إِقَامَةِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، أَخَذَتْ سَارَايُ جَارِيَتَهَا الْمِصْرِيَّةَ هَاجَرَ وَأَعْطَتْهَا لِرَجُلِهَا أَبْرَامَ لِتَكُونَ زَوْجَةً لَهُ) [تكوين ١٦/ ٣].

فكيف يكون الزواج مشروعا والذرية غير ذلك، أم كان الزواج باطلاً لأنه بين كلدانيّ ومصرية؛ وهل مثل هذا الزواج أقل مشروعية من زواج إبراهيم بسارة، التي يقول عنها سفر التكوين (٢٠/ ١٢) أنها أخته من أبيه : (وَهِيَ بِالْحَقِيقَةِ أُخْتِي، ابْنَةُ أَبِي، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتْ ابْنَةَ أُمِّي فَاتَّخَذْتُهَا زَوْجَةً لِي) [تكوين ٢٠/ ١٢]. وحاشا لله أن تكون الرواية الأخيرة صحيحة.

ومن ناحية أخرى كرَّم اللهُ إسماعيل باختياره تعالي لاسمه "إسماعيل"، ومعني الاسم: "الله يسمع". ولكن دعني أسألك أوَّلاً هل مرت عليك في الكتاب المقدس أي عبارة تسيء إلى إسماعيل و شرعية بنوته؟

عبد المسيح : أبداً لا.

عبد الله : أمر آخر، يتعلق بأبناء إسماعيل وأبناء إسحاق، هو ما جاء بخصوص أرض الميعاد: فقبل أن يولد أي منهما أعطى الله عهده إلى إبراهيم أن يجعل لذريته أرض الميعاد من النيل إلى الفرات، وهي ذاتها بلاد العرب التي استقر فيها أبناء إسماعيل:

(فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَقَدَ اللهُ مِيثَاقاً مَعْ أَبْرَامَ قَائِلاً: «سَأُعْطِي نَسْلَكَ هَذِهِ الأَرْضَ مِنْ وَادِي الْعَرِيشِ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ) [تكوين ١٨/ ١٥].

عبد المسيح : هل تقصد أن الله لم يَعِدْ إسحاق وذريته بأي شيء؟

عبد الله : ليس هذا ما أقصد، وإنما سيتبين لك ما أريد بعدما تقرأ سفر التكوين (٨/ ١٧):

(وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً) [تكوين ٨/ ١٧].

هل تبينت الآن الفرق بين العبارتين، فإن إبراهيم كان "غريبا " وهو في أرض كنعان بينما لم يكن كذلك فيما بين النيل والفرات - أرض العرب - فقد كان وهو من كلدان أقرب لأن يكون عربياً من أن يكون يهودياً أوغير ذلك، وارجع إلى ما ناقشناه في بداية الحوار (الفصل الأول).

عبد المسيح : ولكن العهد من الله كان مع إسحاق كما جاء في سفر التكوين (١٧/ ٢١):

(غَيْرَ أَنَّ عَهْدِي أُبْرِمُهُ مَعَ إِسْحقَ الَّذِي تُنْجِبُهُ لَكَ سَارَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ الْقَادِمَةِ) [تكوين ١٧/ ٢١].

عبد الله : وهل في هذه العبارة ما يجعل العهد مقتصرا على إسحق وحده دون إسماعيل؟

عبد المسيح : لا بالطبع.

عبد الله : دعني الآن أسرد لك عرضا مفصلا لما جاء في الكتاب المقدس مشيرا إلي النبي محمد صلي الله عليه وسلم، ومبشرا ومؤكدا لبعثته إلي العالمين.

١/٨ معيار إرمياء

جاء في إرمياء (٢٨/ ٩) :

(أَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي تَنَبَّأَ بِالسَّلاَمِ، فَعِنْدَ تَحَقُّقِ نُبُوءَتِهِ يُعْرَفُ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَهُ حَقّاً) [إرمياء ٢٨/ ٩].

ونحن نعرف أن كلمة "إسلام" مشتقة من "السلام" : السلام بين المرء وخالقه، وبين الله وكل المخلوقات. والسلام دعوة الإسلام، وهو من أسماء الله الحسنى، وذلك نقيض ما جاء في إنجيل لوقا على لسان المسيح عليه السلام:

(أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُرسِيَ السَّلاَمَ عَلَى الأَرْضِ؟ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ، بَلْ بِالأَحْرَى الانْقِسَامَ: فَإِنَّهُ مُنْذُ الآنَ يَكُونُ فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ خَمْسَةٌ فَيَنْقَسِمُونَ: ثَلاَثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ، وَاثْنَانِ عَلَى ثَلاَثَةٍ، فَالآبُ يَنْقَسِمُ عَلَى ابْنِهِ، وَالابْنُ عَلَى أَبِيهِ، وَالأُمُّ عَلَى بِنْتِهَا، وَالْبِنْتُ عَلَى أُمِّهَا، وَالْحَمَاةُ عَلَى كَنَّتِهَا، وَالْكَنَّةُ عَلَى حَمَاتِهَا) [لوقا ١٢/ ٥١-٥٣].

وانظر أيضا (متى ١٠/ ٣٤-٣٦) :

(لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُرْسِيَ سَلاماً عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُرْسِيَ سَلاَماً، بَلْ سَيْفاً. فَإِنِّي جِئْتُ لأَجْعَلَ الإِنْسَانَ عَلَى خِلاَفٍ مَعَ أَبِيهِ، وَالْبِنْتَ مَعَ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ مَعَ حَمَاتِهَا. وَهَكَذَا يَصِيرُ أَعْدَاءَ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ) [متى ١٠/ ٣٤-٣٦].

٢/٨ حتى يأتي "شيلوه"

عندما حضر يعقوب الموت أوصى بنيه كما جاء في عبارة سفر التكوين (٤٩/ ١، ١٠):

(ثُمَّ اسْتَدْعَى يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ وَقَالَ: «الْتَفُّوا حَوْلِي لأُنْبِئَكُمْ بِمَا سَيَحْدُثُ لَكُمْ فِي الأَيَّامِ

الْمُقْبِلَةِ) [تكوين ٤٩/ ١].

ثم : (لاَ يَزُولُ صَوْلَجَانُ الْمُلْكِ مِنْ يَهُوذَا وَلاَ مُشْتَرِعٌ مِنْ صُلْبِهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُوهُ (وَمَعْنَاهُ: مَنْ لَهُ الأَمْرُ) فَتُطِيعُهُ الشُّعُوبُ) [تكوين ٤٩/ ١٠].

وتتفق هذه العبارة مع ما جاء في القرآن الكريم:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

وكلمة "شيلوه" العبرية معناها السلام والاطمئنان، ولكنها هنا تشير إلى شخص يلتف حول الناس، وربما كانت تحريفا لكلمة "شالواه (إلوهيم)" العبرية التي تعني رسول (من الله).

ومعنى العبارة (في تكوين ٤٩/ ١٠) أن سلسلة النبوة في آل يعقوب (بني إسرائيل) ستنقطع عندما يأتي "شيلوه" ويؤكد ذلك ما أنذر به أرمياء في نبوءته:

(إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الأَحْكَامُ تَزُولُ مِنْ أَمَامِي فَإِنَّ ذُرِّيَّةَ إِسْرَائِيلَ تَكُفُّ عَنْ أَنْ تَكُونَ لِي أُمَّةً) [إرمياء ٣١/ ٣٦].

وهو عين ما أشار إليه المسيح في إنجيل متى:

(لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ سَيُنْزَعُ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَيُسَلَّمُ إِلَى شَعْبٍ يُؤَدِّي ثَمَرَهُ) [متى ٢١/ ٤٣].

٣/٨ بكة هي مكة

مكة المكرمة هي الموضع الذي عينه الله لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لبناء بيته الحرام، والعرب تنطق مكة: "مكة" أو "بكة" لهجتان لقبائل العرب، وقد ورد اللفظ بصيغتين في القرآن الكريم :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ

عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢٤]،

و: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

وستندهش عندما تقرأ اسم "بكة" على لسان داود عليه السلام في المزامير:

(عابرين في وادي البكاء (بكة) يصيرونه ينبوعا) [مزمور ٨٤/ ٦].

وستزداد دهشة إذا علمت أن البئر المشار إليه في المزمور هو عينه بئر زمزم التي فجرها الله تعالى في هذا الوادي القاحل لتظل حتى يومنا هذا تروى الحجيج من ملايين المسلمين الوافدين للحج والعمرة إلى البيت الذي اختاره الله ليكون قبلة المصلين وملتقى المؤمنين إلى يوم الدين.

٨/٤ بيت المجد

جاء في نبوة أشعياء (١٦٠/ ١-٧، ١١):

١- (قُومِي اسْتَضِيئِي، فَإِنَّ نُورَكِ قَدْ جَاءَ، وَمَجْدَ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ)[أشعياء٦٠/ ١].

وانظر كيف تضاهي هذه العبارة قوله تعالى في القرآن الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾ (المدثر ١-٣).

٢- (هَا إِنَّ الظُّلْمَةَ تَغْمُرُ الأَرْضَ، وَاللَّيْلَ الدَّامِسَ يَكْتَنِفُ الشُّعُوبَ، وَلَكِنَّ الرَّبَّ يُشْرِقُ عَلَيْكِ، وَيَتَجَلَّى مَجْدُهُ حَوْلَكِ) [أشعياء ٦٠/ ٢].

وحقا كانت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم حين ساد الظلام العالم كله، بعد أن غابت دعوة التوحيد الذي نادى به كل الأنبياء قبله؛ ابتداء من إبراهيم إلى عيسى عليهم السلام.

٣- (فَتُقْبِلُ الأُمَمُ إِلَى نُورِكِ، وَتَتَوَافَدُ الْمُلُوكُ إِلَى إِشْرَاقِ ضِيَائِكِ) [أشعياء ٦٠/ ٣].

وقد فتح الله بالإسلام كل أنحاء الأرض، ودخل فيه الناس أفواجا، ومازال حتى اليوم أسرع العقائد انتشارا؛ رغم كل ما حورب ويحارب به.

٤- (تَأَمَّلِي حَوْلَكِ وَانْظُرِي، فَهَا هُمْ جَمِيعاً قَدِ اجْتَمَعُوا، وَأَتَوْا إِلَيْكِ. يَجِيءُ أَبْنَاؤُكِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ عَلَى الأَذْرُعِ) [أشعياء ٦٠/ ٤].

وقد كان: ففي أقل من ثلاثة وعشرين عاما توحدت قبائل الجزيرة العربية كلها تحت لواء الإسلام، بعد أن كانت قَبْلُ قبائل متناحرة.

٥- (عِنْدَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتَتَهَلَّلِينَ، وَتَطْغَى الإِثَارَةُ عَلَى قَلْبِكِ، وَتَمْتَلِئِينَ فَرَحاً لأَنَّ ثَرْوَاتِ الْبَحْرِ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ وَغِنَى الأُمَمِ يَتَدَفَّقُ عَلَيْكِ) [أشعياء ٦٠/ ٥].

وخلال قرن من الزمان اتسعت أمة الوحدة الإسلامية حتى صارت في أوجها أوسع دولة عرفها التاريخ حتى اليوم.

٦- (تَكْتَظُّ أَرْضُكِ بِكَثْرَةِ الإِبِلِ. مِنْ أَرْضِ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ تَغْشَاكِ بُكْرَانٌ، تَتَقَاطَرُ إِلَيْكِ مِنْ شَبَا مُحَمَّلَةً بِالذَّهَبِ وَاللُّبَانِ وَتُذِيعُ تَسْبِيحَ الرَّبِّ) [أشعياء ٦٠/٦].

وهذه إنما تنطبق على وفود الحجاج على مدار التاريخ إلى مكة للحج، وما يصحبه من التجارة وتبادل المنافع (والعمرة على مدار السنة).

٧- (جَمِيعُ قُطْعَانِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ، وَكِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدُمُكِ، تُقَدَّمُ قَرَابِينَ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي، وَأُمَجِّدُ بَيْتِي الْبَهِيَّ) [أشعياء ٦٠/ ٧].

وقبائل قيدار التي تجمعت وتوحدت إنما هي قبائل العرب من نسل قيدار ولد إسماعيل (وانظر ما ذكرته من قبل عن نسل إسماعيل في الفصل الأول). أما بيت المجد المشار إليه فالثابت من السياق أنه بيت الله الحرام في مكة - مستقر أبناء قيدار وإسماعيل (وليس كنيسة المسيح كما يظن بعض مفسري الكتاب المقدس).

٨- (تَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِماً وَلاَ تُوصَدُ لَيْلَ نَهَارَ، لِيَحْمِلَ إِلَيْكِ النَّاسُ ثَرْوَةَ الأُمَمِ، وَفِي مَوْكِبٍ يُسَاقُ إِلَيْكِ مُلُوكُهُمْ) [أشعياء ٦٠/ ١١].

ومن المعروف أن بيت الله الحرام أكبر بيوت الله على وجه الأرض - لا ولَمْ يُوصَدْ ليلاً ولا نهاراً على مدار التاريخ منذ طهره محمد صلى الله عليه وسلم من الأوثان ليصبح قبلة وملاذا لكل مؤمن؛ حاكما أو محكوما .

٨/ ٥ راكبو الحمير وراكبو الجمال

تأمل نبوءة أشعياء التي ذكر فيها:

(وَعِنْدَمَا يُشَاهِدُ رَاكِبِينَ فُرْسَاناً أَزْوَاجاً أَزْوَاجاً، أَوْ رَاكِبِينَ عَلَى حَمِيرٍ، وَرَاكِبِينَ عَلَى جِمَالٍ، فَلْيُصْغِ إِصْغَاءً شَدِيداً) [أشعياء ٢١/ ٧].

من هو راكب الحمار؟ إن أي تلميذ في مدارس الأحد يعرف أنه يسوع:

(وَوَجَدَ يَسُوعُ جَحْشاً فَرَكِبَ عَلَيْهِ، كَمَا قَدْ كُتِبَ) [يوحنا ١٢/ ١٤].

فمن إذن راكب الجمل الموعود؟ الذي تجاهله مفسرو الكتاب المقدس؟ إنه محمد صلى الله عليه وسلم، الذي لم يأت من تنطبق عليه تلك النبوءة غيره. ويؤكد ذلك ما ذكره أشعياء صراحة في نفس الإصحاح عن: "نبوءة بشأن جزيرة العرب":

(نُبُوءَةٌ بِشَأْنِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ: سَتَبِيتِينَ فِي صَحَارِي بِلاَدِ الْعَرَبِ يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ) [أشعياء ٢١/ ١٣]، والتي تشير أيضا إلى الرسالة التي حملها المسلمون العرب الأوائل في نشر الدعوة؛ ثم حملتها أجيال المسلمين في كل زمان ومكان إلي يومنا هذا.

ثم تمضي نبوءة أشعياء فتقول:

(فَاحْمِلُوا يَا أَهْلَ تَيْمَاءَ الْمَاءَ لِلْعَطْشَانِ، وَاسْتَقْبِلُوا الْهَارِبِينَ بِالْخُبْزِ) [أشعياء ٢١/ ١٤]، لتشير الي "أهل تيماء" الذين آووا النبي وصحبه من المهاجرين وآخى كل واحد منهم وافدا من المهاجرين وشاركه الطعام والشراب، وهو ما كان من الأنصار بالمدينة المنورة، التي كان اسمها قبل الهجرة "يثرب" و"طَيْبَة" (لاحظ الشبه باسم تَيْماء).

وقد أشارت نبوءة أشعياء إلى هذه الهجرة؛ التي أذن الله بها عندما أعلم الله رسوله بما أجمع عليه الكفار أن يضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل (كما جاء في السيرة النبوية)، فتأمل عبارة أشعياء (٢١/ ١٥):

(لأَنَّهُمْ قَدْ فَرُّوا مِنَ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَالْقَوْسِ الْمُتَوَتِّرِ، وَمِنْ وَطِيسِ الْمَعْرَكَةِ) [أشعياء ٢١/ ١٥].

ثم تواصل نبوءة أشعياء سردها :

(لأَنَّهُ هَذَا مَا قَالَهُ لِي الرَّبُّ: فِي غُضُونِ سَنَةٍ مُمَاثِلَةٍ لِسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ) [أشعياء ٢١/ ١٦]، فتحدد في دقة بالغة ما تم في السنة الثانية من الهجرة من لقاء حاسم بين المؤمنين وبين مشركي قريش (أحفاد قيدار) في موقعة بدر الفاصلة التي اندحر فيها الشرك والمشركون، وقيدار كما علمت هو الابن الثاني لإسماعيل، وانظر سفر التكوين (١٣/ ٢٥)؛ كما ذكرنا في الفصل الأول:

(وَهَذِهِ أَسْمَاءُ أَبْنَاءِ إسماعيل مَدَوَّنَةً حَسَبَ تَرْتِيبِ وِلاَدَتِهِمْ: نَبَايُوتُ بِكْرُ إسماعيل، وَقِيدَارُ وَأَدَبْئِيلُ وَمِبْسَامُ) [تكوين ٢٥/ ١٣].

كما يؤكد هذه الحقيقة (أي أن العرب هم المشار إليهم بأهل قيدار في الكتاب المقدس) ما جاء أيضا بسِفْر حزقيال:

(وَتَاجَرَ مَعَكِ الْعَرَبُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ قِيدَارَ، فَقَايَضُوا بَضَائِعَكِ بِالْخِرْفَانِ وَالْكِبَاشِ وَالأَعْتِدَةِ) [حزقيال ٢٧/ ٢١].

٨/ ٦ نبيا مثل موسى

وعد الله موسي طبقا لسفر التثنية بمجيء النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي حدده تحديدا بعبارة :

(لِهَذَا أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَضَعُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُخَاطِبُهُمْ بِكُلِّ مَا آمُرُهُ بِهِ) [تثنية ١٨/ ١٨]، ولا ينطبق ذلك التحديد إلا عليه صلى الله عليه وسلم لما يلي:

١ - "من بين إخوتهم": تعني أبناء إسماعيل أخي إسحاق جد بني إسرائيل، وإلاّ لو كان المراد هو عيسى (الذي هو "من" بني إسرائيل) لقيل "من بينهم".

٢- كونه مثل موسى "مثلك"، والمثلية هنا إنما تنطبق على محمد لا علي عيسى عليهما الصلاة والسلام من كل وجه:

* موسى ومحمد وُلِدا من أب وأم، بلا معجزة، خلافا لعيسى.

* وكلاهما تزوج وأنجب ذرية، خلافا لعيسى.

* وكلاهما مات ودفن بصورة طبيعية، خلافا لعيسى الذي توفاه الله ورفعه إليه ولم يشهد أحد موته.

* وكلاهما حاربه أعداؤه وطاردوه بجيوشهم، خلافا لعيسي.

* وكلاهما نصرهما الله وأظهرهما على أعدائهما في حياتهما، خلافا لعيسى الذي انتصرت رسالته معنويا بعد رحيله.

* وكلاهما تلقي وحيا دونت نصوصه في حياتهما (قبل أن تحرف التوراة)، بينما لم يبدأ تدوين شيء من تعاليم عيسى إلا بعد رحيله.

* وكلاهما كانت رسالته شريعة عملية متكاملة خلافا لعيسى الذي كانت رسالته روحية وخلقية فحسب.

* وكلاهما كان قائدا لأتباعه الذين التفوا حوله، خلافا لعيسى الذي انفض من حوله معظم قومه بني إسرائيل.

٣- "وأضع كلامي في فمه": إشارة إلى الوحي الذي نزل به جبريل من الله تعالى طوال ثلاثة وعشرين عاما، وهو النبي الأمي الأمين الذي بَلَّغ كل حرف منه كما سمعه، ويتطابق الوصف مع قوله تعالى في سورة القيامة :

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦-١٩] .

٤- وتتصدر سور القرآن الكريم البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" (عدا سورة براءة) وهي (أي البسملة) التي يبدأ بها المسلم أي عمل في حياته اليومية، فتأمل ما جاء في سفر التثنية (١٩/١٨) :

(فَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْصَى كَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي، فَأَنَا أُحَاسِبُهُ) [تثنية ١٨/ ١٩] !!

٨/٧ عبدي المختار

وفي إشارة أوضح لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم تقول نبوءة أشعياء (إصحاح ٤٢):

(١) (هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي ابْتَهَجَتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ لِيَسُوسَ الأُمَمَ بِالْعَدْلِ) [أشعياء ٤٢/ ١].

ولا ريب أن كل الأنبياء عباد مرسلون اختارهم الله تعالى لهداية أقوامهم، إلا أن كلمة عبدي ورسولي المختار (أي المصطفى) هي الأسماء التي يطلقها الإسلام خاصة على محمد صلى الله عليه وسلم، فالشهادتان أولى أركان الإسلام : "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله"، يرددها المسلم في كل صلاة ضمن التشهد في كل صلاة من الصلوات الخمس اليومية؛ وغيرها من صلوات النوافل والتطوع، وعبارة: "أشهد أن محمدا رسول الله " تدوي في الأذان من فوق المنائر وقبل إقامة الصلاة في كل مسجد على امتداد المعمورة طوال الأربع والعشرين ساعة.

(٢-٣) (لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَصْرُخُ وَلاَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فِي الطَّرِيقِ. لاَ يَكْسِرُ قَصَبَةً مَرْضُوضَةً، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِيءُ. إِنَّمَا بِأَمَانَةٍ يُجْرِي عَدْلاً) [أشعياء٤٢/ ٢-٣].

وهذا وصف دقيق لما عرف به من سيرته صلى الله عليه وسلم.

(٤) (لاَ يَكِلُّ وَلاَ تُثَبَّطُ لَهُ هِمَّةٌ حَتَّى يُرَسِّخَ الْعَدْلَ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ) [أشعياء ٤٢/ ٤].

وهو الذي كانت حياته جهادا في معارك متصلة بأمر الله وإذنه، ولم يكلّ يوما أو يفتّ في عضده عداوة العرب ولا كيد اليهود، وما كان ذلك شأن عيسى.

(٦) («أَنَا هُوَ الرَّبُّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ. أَمْسَكْتُ بِيَدِكَ وَحَافَظْتُ عَلَيْكَ وَجَعَلْتُكَ عَهْداً لِلشَّعْبِ وَنُوراً لِلأُمَمِ») [أشعياء ٤٢/ ٦].

فالمقصود بعبارة "وجعلتك عهدا للشعب ونورا للأمم" أن الله لن يرسل رسولاً بعده فستدخل كل الأمم تباعا في دين الله، وقد كان.

(٧) (لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ، وَتُطْلِقَ سَرَاحَ الْمَأْسُورِينَ فِي السِّجْنِ، وَتُحَرِّرَ الْجَالِسِينَ فِي ظُلْمَةِ

الْحَبْسِ) [أشعياء ٤٢/ ٧].

فالعيون العمي وحياة الظلام : إشارة إلى "الجاهلية" العمياء التي لم يسبق لها مثيل، والتي أزاحها نور الإسلام، وعبارة "تحرر الجالسين في ظلمة الحبس": إشارة إلى تحرير الأرقاء؛ الذي حققته شريعة الإسلام بما تضمنته من نظام المكاتبة ومن كفارات الذنوب بفك الرقاب، وبفضل ذلك اختفى الرق عمليا من العالم الإسلامي (حتى أعاده الاستعمار بصور شتى أقبح في العصر الحديث).

(٨) (أَنَا هُوَ الرَّبُّ وَهَذَا اسْمِي. لاَ أُعْطِي مَجْدِي لآخَرَ، وَلاَ حَمْدِي لِلْمَنْحُوتَاتِ) [أشعياء ٤٢/ ٨].

وهذا ما تحقق للنبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، والنبي الأوحد الذي ظلت رسالته وما أنزله الله عليه في القرآن بلا تحريف ولا تبديل، خلافا لرسالة موسى وعيسى (وانظر الفصل الثاني).

(١٠) (غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، سَبِّحُوهُ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ أَيُّهَا الْمُسَافِرُونَ فِي عُبَابِ الْبَحْرِ وَكُلُّ مَا فِيهِ وَيَا سُكَّانَ الْجَزَائِرِ) [أشعياء ٤٢/ ١٠].

"أغنية جديدة" : لا هي بالعبرية ولا بالآرامية القديمة؛ بل بلسان عربي مبين، قرآنا يتلى وصلاة وتسبيحاً وأذانا يتردد على امتداد الكرة الأرضية: "من أقاصي الأرض"، على ألسنة أكثر من مليار مسلم.

(١١-١٢) (لِتَهْتِفِ الصَّحْرَاءُ وَمُدُنُهَا، وَدِيَارُ قِيدَارَ الْمَأْهُولَةُ. لِيَتَغَنَّ بِفَرَحٍ أَهْلُ سَالِعَ وَلْيَهْتِفُوا مِنْ قِمَمِ الْجِبَالِ. وَلْيُمَجِّدُوا الرَّبَّ وَيُذِيعُوا حَمْدَهُ فِي الْجَزَائِرِ) [أشعياء ٤٢/ ١١-١٢].

فعلى جبل عرفات "قمم الجبال" يتجمع ملايين المسلمين عاما بعد عام، ملبين "ليمجدوا الرب" قائلين: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك". وقد سبق أن أوضحت لك أن :"ديار قيدار" هي بلاد العرب. أما: "ويذيعوا حمده في الجزائر" فقد تحققت بانتشار الإسلام إلى أبعد جزر المحيطات من

إندونيسيا إلى جزر الكاريبي.

(١٣) (يَبْرُزُ الرَّبُّ كَجَبَّارٍ، يَسْتَثِيرُ حَمِيَّتَهُ كَمَا يَسْتَثِيرُهَا المحَارِبُ، وَيُطْلِقُ صَرْخَةَ حَرْبٍ دَاوِيَةً، يُظْهِرُ جَبَرُوتَهُ أَمَامَ أَعْدَائِهِ) [أشعياء ٤٢/ ١٣].

ففي سنوات معدودة أسست بالمدينة المنورة نواة الدولة الإسلامية الكبرى التي امتدت فتوحاتها وسلطانها إلى معظم أرجاء العالم.

وختاما فكأن هذا الإصحاح (أشعياء ٤٢) وصف تفصيلي لنبوءة مجيء محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته من بعده.

٨/٨ سماه الملك داود سيدي

في مزمور داود (١١٠/ ١) :

(قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ)[داود ١١٠/ ١].

وبديهي أن الرب الذي "قال" في عبارة : "قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي" هو الله رب العالمين، أما "لِرَبِّي" فلا تعني إلا "سيدي"، ويفسر مفسرو الكتاب المقدس "لربي" بأن المشار إليه هو المسيح، ولكن كيف يكون ذلك وقد أنكر المسيح نفسه ذلك؛ كما جاء على لسانه في العبارات الآتية:

(فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبَّهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟) [متي ٢٢/ ٤٥].

و : (فَمَادَامَ دَاوُدُ نَفْسُهُ يَدْعُوهُ الرَّبَّ فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ ابْنَهُ؟» وَكَانَ الْجَمْعُ الْعَظِيمُ يَسْمَعُهُ بِسُرُورٍ) [مرقس ١٢/ ٣٧].

وقد أنكر المسيح على نفسه هذا اللقب، إذ كيف يكون من أحفاد داود ثم يقول داود عنه "لربي"، وقد زاد المسيح الأمر وضوحا فيما جاء على لسانه في إنجيل لوقا (٢٠/ ٤٢-٤٤) :

(فِيمَا يَقُولُ دَاوُدُ نَفْسُهُ فِي كِتَابِ المزَامِيرِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ؟ إِذَنْ، دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبّاً، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟) [لوقا ٢٠/ ٤٢-٤٤].

ولاشك أن العبارة الأخيرة تبدو مبتسرة وتوحي أن ثمة حذفا من نهايتها، أوضحه

إنجيل برنابا الذي ترفضه الكنيسة لأسباب؛ منها أن برنابا قرر أن "العهد" كان لإسماعيل لا لإسحاق. بَيَّن ذلك الإنجيل أن داود كان يشير بهذا اللقب إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان : فلم يَجْرِ على يد نبيٍّ – بإذن الله – ما جري علي يديه من نجاح وانتشار وخلود.

٨/ ٩ هل أنت النبي

عندما أرسل اليهود الكهنة واللاويين إلي يوحنا المعمدان ليسألوه من هو في الحقيقة؛ كان رده كالآتي: (فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، بَلْ أَكَّدَ قَائِلاً: «لَسْتُ أَنَا المَسِيحَ». فَسَأَلُوهُ: «مَاذَا إِذَنْ؟ هَلْ أَنْتَ إِيلِيَّا؟» قَالَ: «لَسْتُ إِيَّاهُ!»؛ «أَوَ أَنْتَ النَّبِيُّ؟» فَأَجَابَ: «لاَ») [يوحنا ١/ ٢٠-٢١]، والسؤال هنا: مَنْ يكون النبي المنتظر القادم بعد مجيء المسيح ويوحنا المعمدان؟ مَنْ غير الذي سيكون مثل موسى (وانظر ثانية سفر التثنية ١٨/ ١٨ ، في الفقرة ٨/ ٦ أعلاه).

٨/ ١٠ الذي يعمد بالروح القدس وبالنار

جاء في متى (٣/ ١١) :

(أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِالماءِ لأَجْلِ التَّوْبَةِ، وَلكِنَّ الآتِيَ بَعْدِي هُوَ أَقْدَرُ مِنِّي، وَأَنَا لاَ أَسْتَحِقُّ أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَبِالنَّارِ) [متى ٣/ ١١].

وبديهي أن الذي سيأتي بعد يوحنا المعمدان الذي عاصر المسيح ما هو إلا محمد صلى الله عليه وسلم.

٨/ ١١- الأصغر في ملكوت السماوات

جاء في إنجيل متى (١١/ ١١) :

(الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ بَيْنَ مَنْ وَلَدَتْهُمُ النِّسَاءُ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمُعْمَدَانِ. وَلَكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ) [متى ١١/ ١١].

فهل تصدق أن يوحنا المعمدان أعظم من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء؛ أو أنه حقق ما لم يحققوه؟ كم كان أتباعه والمهتدون علي يديه؟ وعلى كل ليست هذه هي القضية هنا، ولكن السؤال هو من المشار إليه في عبارة "الأصغر في ملكوت

السماوات"؟ بالتأكيد ليس هو المسيح لأن "مملكة السماوات" لم تكتمل في زمانه بعد؛ فمملكة السماء هي مملكة الله تعالى وأنبيائه، وأصغر الأنبياء وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم.

٨/١٢- المعزي أو المعين

جاء في إنجيل يوحنا علي لسان المسيح:

(وَسَوْفَ أَطْلُبُ مِنَ الآبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ مُعِيناً (مُعَزِّياً) آخَرَ يَبْقَى مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ) [يوحنا ١٤/ ١٦].

ونحن لا نعرف على وجه اليقين أصل كلمة "المعزي" في اللغة الآرامية التي ترجم منها قول المسيح إلى العبرية ثم اليونانية ثم إلي سائر اللغات – ولكن الذي نعرفه أن اللفظ اليوناني "باراكليتوس" مأخوذ من العبرية. وفي العبرية كلمتان متشابهتان في الإملاء وتختلفان في التشكيل وهما: بِرقليط بكسر الباء؛ وتعني المحامي أو المؤيد، وبَرقليط بفتح الباء؛ وتعني المحمود أي "محمد" أو "أحمد" – ومن المعروف أن الكتابة العبرية القديمة (التي ترجم منها إلى اليونانية) لم يكن بها ما يميز تشكيل الحروف.

وأياً كان أصل كلمة "المعزي" الغامضة، فإن إشارة المسيح هنا هي إلى نبي يأتي بعده ليتم الرسالة؛ وتبقى رسالته قائمة إلى نهاية الزمان، وتعال نتفحص نصوص الكتاب المقدس لنرى من هو"المعزى" المقصود:

١- كونه معزيًا "آخر"، أي أنه سيأتي بعد كل من سبقه من أنبياء.

٢- "يبقى معكم إلى الأبد" ، حيث لا حاجة لنبي بعده؛ لأنه آخر الأنبياء الذي تكفل الله بحفظ رسالته – وحدها – كما نزلت إلى آخر الزمان.

٣- أنه : (وَعِنْدَمَا يَجِيءُ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ وَعَلَى الْبِرِّ وَعَلَى الدَّيْنُونَةِ) [يوحنا ١٦/ ٨]، فكل الأنبياء قبله اقتصرت مهمتهم على دعوة أقوامهم وتطهيرهم من الخطايا، بينما كانت دعوة خاتم الأنبياء إلى البشرية جمعاء، وفي أقل من ثلاثة وعشرين عاما – هي مدة بعثته – اقتلع الوثنية من جزيرة العرب وراسل ملوك الأرض: من هرقل إلي ملوك الفرس

والرومان؛ والنجاشي ملك الحبشة والمقوقس حاكم مصر، وجَابَه أهلَ الكتاب من يهود ونصارى بما كشفه القرآن من: تحريف كتبهم، وخروجهم على التوحيد، ودعواهم بصلب المسيح وتأليههم إياه، ونسبة الولد إلي الله سبحانه، وتحريفهم تاريخ الأنبياء وحقيقة رسالاتهم.

٤- يشير نص (يوحنا ١٤/ ٣٠) إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم كسيد لهذا العالم يجيء لِيُقَوِّم العالم بالعقل والحكمة:

(لَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَثِيراً بَعْدُ، فَإِنَّ سَيِّدَ هَذَا الْعَالَمِ قَادِمٌ عَلَيَّ، وَلاَ شَيْءَ لَهُ فِيَّ) [يوحنا ١٤/ ٣٠].

٥- (وَلكِنْ، عِنْدَمَا يَأْتِيكُمْ رُوحُ الْحَقِّ يُرْشِدُكُمْ إِلَى الْحَقِّ كُلِّهِ...) [يوحنا ١٦/ ١٣].

وقد لقب محمد صلى الله عليه وسلم من قبل بعثته بالصادق الأمين، الذي يلتزم بالحق ويهدي إليه.

٦- (... لأَنَّهُ لاَ يَقُولُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِهِ، بَلْ يُخْبِرُكُمْ بِمَا يَسْمَعُهُ، وَيُطْلِعُكُمْ عَلَى مَا سَوْفَ يَحْدُثُ) [يوحنا ١٦/ ١٣]، وحقا لقد بَلَّغَ كل كلمة من القرآن علمها إياه جبريل، وحفظها عن ظهر قلب كما نزلت ودَوَّنها كُتَّاب الوحي كما أملاها عليهم، دون أن يضيف حرفا ولا يقدم كلمة ولا يؤخرها، وتذكَّر ما جاء في سفر التثنية (١٨/ ١٨) بنفس المعنى :

(لِهَذَا أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَضَعُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُخَاطِبُهُمْ بِكُلِّ مَا آمُرُهُ بِهِ) [تثنية ١٨/ ١٨].

والذي يتفق مع وصف القرآن الكريم:

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: ٢-٤].

٧- (وَلكِنْ، عِنْدَمَا يَأْتِيكُمْ رُوحُ الْحَقِّ يُرْشِدُكُمْ إِلَى الْحَقِّ كُلِّهِ، لأَنَّهُ لاَ يَقُولُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِهِ، بَلْ يُخْبِرُكُمْ بِمَا يَسْمَعُهُ، وَيُطْلِعُكُمْ عَلَى مَا سَوْفَ يَحْدُثُ) [يوحنا ١٦/ ١٣].

وقد تحققت كل نبوءاته صلى الله عليه وسلم، ولا يتسع الحديث هنا لسرد ما حفلت به

كتب السنة والسيرة النبوية من نبوءات تحققت ومازالت تتحقق.

٨- (وَهُوَ سَيُمَجِّدُنِي لأَنَّ كُلَّ مَا سَيُحَدِّثُكُمْ بِهِ صَادِرٌ عَنِّي) [يوحنا ١٦/ ١٤].

وقد رفع القرآن الكريم عيسى ابن مريم مكانا علياً ودفع عنه كل إساءة وتحريف، بينما أورد بعض كُتَّاب العهد القديم والعهد الجديد ما ينطوي على ما لا يليق بمكانته عليه السلام ومن ذلك:

* أن القول بموت نبي علي الصليب لا يستقيم مع ما جاء في سفر التثنية:

(أَمَّا ذَلِكَ النَّبِيُّ أَوِ الْحَالِمُ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ) [تثنية ١٣/ ٥]. وكذلك : (إِنِ ارْتَكَبَ إِنْسَانٌ جَرِيمَةً عِقَابُهَا الإِعْدَامُ، وَنُفِّذَ فِيهِ الْقَضَاءُ وَعَلَّقْتُمُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ، فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلِ ادْفِنُوهُ فِي نَفْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ المعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ الله. فَلاَ تُنَجِّسُوا أَرْضَكُمُ الَّتِي يَهَبُهَا لَكُمُ الرَّبُّ مِيرَاثاً) [تثنية ٢١/ ٢٢-٢٣].

* جاء في متى (٢٧/ ٤٦) :

(« وَنَحْوَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «إِيلِي، إِيلِي، لَمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ ») [متى ٢٧/ ٤٦].

أيصح أن ينسب ذلك القول إلى رسول من رسل الله، ومِنَ الذين وصفهم القرآن الكريم بأُولي العزم من الرسل؟

* ونحن كمسلمين لا نصدق أنه قد تفوه بوصف الأميين "بالكلاب والخنازير" :

(لاَ تُعْطُوا مَا هُوَ مُقَدَّسٌ لِلْكِلاَبِ، وَلاَ تَطْرَحُوا جَوَاهِرَكُمْ أَمَامَ الْخَنَازِيرِ، لِكَيْ لاَ تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَنْقَلِبَ عَلَيْكُمْ فَتُمَزِّقَكُمْ) [متى ٧/ ٦].

* ولا أنه خاطب أمه مريم البتول بقوله: "يا امرأة"، كما في:

(فَأَجَابَهَا: «مَا شَأْنُكِ بِي يَاامْرَأَةُ؟ سَاعَتِي لَمْ تَأْتِ بَعْدُ») [يوحنا ٢/ ٤].

بينما يقول عنه القرآن بكل إجلال:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: ٣٢] .

٨/١٣ الوحي

أول ما نزل من الوحي علي محمد صلي الله عليه وسلم قول جبريل عندما جاءه في غار حراء : "اقرأ" ، فقال : "ما أنا بقارئ"؛ أي أنَّى لي أن أعرف القراءة، وهو عين ما أشارت إليه نبوءة أشعياء:

(وَعِنْدَمَا يُنَاوِلُونَهُ لِمَنْ يَجْهَلُ الْقِرَاءَةَ قَائِلِينَ: اقْرَأْ هَذَا، يُجِيبُ: لاَ أَسْتَطِيعُ الْقِرَاءَةَ) [أشعياء ٢٩/ ١٢].

ومن ناحية أخرى لم يكن نزول القرآن عبر ثلاثة وعشرين عاما بنفس ترتيبه النهائي في المصحف، وإنما كان ينزل مُفَرَّقاً: إما مجموعات من الآيات أو سورا كاملة، حتى رُتِّبَت الآيات والسور كما أرشد جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في عرضه الأخير للقرآن فتكاملت الآيات والسور ببيانها ونسقها المعجز، وهذا التنزيل المتوالي ثم الترتيب قد أشارت إليه نبوءة أشعياء أيضا:

(لأَنَّهُ يُكَرِّرُ عَلَيْنَا أَوَامِرَهُ كَلِمَةً فَكَلِمَةً، وَوَصِيَّةً فَوَصِيَّةً؛ شَيْئاً مِنْ هُنَا وَشَيْئاً مِنْ هُنَاكَ. سَيُخَاطِبُ الرَّبُّ هَذَا الشَّعْبَ بِلِسَانٍ غَرِيبٍ أَعْجَمِيٍّ) [أشعياء ٢٨/ ١٠-١١].

لاحظ أيضا أن كلمة "لسان غريب" هنا تعني لغة أخرى غير الآرامية أو العبرية، فالمقصود : "اللغة العربية".

٨/١٤ اللغة الواحدة

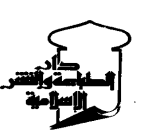
كل المسلمين عربا وعجما يتعبدون باللغة العربية : بها يدعون الله؛ وبها يُصَلُّون، ويَحُجُّون، ويُسَلِّم بعضهم علي بعض، ويتفق ذلك مع نبوءة زفانيا:

(عِنْدَئِذٍ أُنَقِّي شِفَاهَ الشَّعْبِ لِيَدْعُوا جَمِيعُهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ وَيَعْبُدُوهُ جَنْباً إِلَى جَنْبٍ) [زفانيا ٣/ ٩].

عبد المسيح : أخي عبد الله، لا أستطيع أن أعبر لك عن شكري على هذه الجولة التي طوفت معي بها في أرجاء الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، حتى تيقنت تماما أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو المقصود والمشار إليه في نبوءات وبشارات الأنبياء من قبله،

وأنه خاتم أنبياء الله الذين جاءوا جميعا يدعون إلى عبادة الله الواحد الأحد؛ واتباع هديه الذي اكتمل وبلغ مداه في رسالة الإسلام.

عبد الله : إنما الشكر والحمد كله لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله رب العالمين.



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤

Printed in Egypt by ISLAMIC PRINTING & PUBLISHING Co. Tel:. 015 / 363314 - 362313

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣